تاريخ الطبري

ذكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأسبابه

فتوفّى عبد المطلب بعد الفيل بثمانى سنين ؛ كذلك حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر : وكان عبدالمطّلب يوصِى برسول الله صلّى الله عليه وسلّم عَمّه أبا طالب ، وذلك أنّ أبا طالب ، وعبد الله أبا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كانا لأمّ ، فكان أبو طالب هو الذى يلِى أمرَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد جدّه ، وكان يكون معه . ثم إن أبا طالب خرج فى ركب من قريش إلى الشّام تاجراً ، فلمّا تهيّأ للرحيل وأجمع السير صَبّ(١) به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما يزعمون — فرقّ له أبو طالب ، فقال : والله لأخرجنّ به معي ، ولا يفارقنى ولا أفارقه ١١٢٤/١
أبداً ، أوكما قال . فخرج به معه ، فلمّا نزل الركب بُصْرى من أرض الشّام ، وبها راهب يقال له بَحيرَى فى صومعة له ، وكان ذا علم من أهل النّصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة مذ قطّ راهب(٢) ، إليه يصير علمهم عن كتاب — فيما يزعمون — يتوارثونه كابراً عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام بِبَحَيْرَى ، صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك أنه رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو فى صومعته ، عليه غمامة تُظلّه من بين القوم ، ثم أقبلوا حتى نزلوا فى ظلّ شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلّت الشّجرة ، وتهصّرتْ(٣) أغصان الشجرة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتى استظلّ تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرى ، نزل من صومعته ، ثم أرسل إليهم فدعاهم جميعاً ، فلما رأى بحيرَى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جَسده قد كان يجدُها عنده من صفته . فلما فرغ القوم من الطّعام وتفرّقوا ، سأل رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم عن أشياء فى حاله ؛ فى يقَظته وفى نومه ، فجعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُخبِرُه فيجدُها بَحيرَى موافقةً لما عنده من صفَته . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتَم النبوّة بين كتِفَيْه ، ثم قال بَحيرى لعمّه أبى طالب : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى ، فقال له بَحيرى : ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام

---

(١) كذا فى ح ، وضب به : تعلق ، وفى ط والسيرة : « صب به » ، أى مال إليه .

(٢) قط هنا : اسم بمعنى الدهر ، ومذ ظرف ، وانظر ما نقله صاحب اللسان عن اللحيانى فى مادة (ق ط ط) .

(٣) كذا فى السيرة ، وتهصرت : مالت وتدلت . وفى ط : « وهصرت » .

أن يكون أبوه حيًّا . قال : فإنه ابنُ أخي ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمّه حُبْلى به ، قال : صدقتَ ، ارجع به إلى بلدك ، واحذَرْ عليه يَهُود ؛ فوالله لئِنْ رأوْه وعرفوا منه ما عرفتُ، ليبغُنُنَّه شرًّا ، فإنه كائن له
١/١١٢٥ شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلده . فخرج به عمّهُ سريعًا حتى أقدمه مكّة[١] .

وقال هشام بن محمّد : خرج أبو طالب برسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بُصْرَى من أرضِ الشأم ؛ وهو ابنُ تسع سنين .

حدّثني العباس بن محمّد ، قال: حدّثنا أبو نوح ، قال : حدّثنا يونس ابن أبي إسحاق ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن أبي موسى ، قال : خرج أبو طالب إلى الشأم، وخرج معه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في أشْيَاخٍ من قُريش ، فلما أشرفُوا على الرّاهب هَبطُوا فحلّوا رحالَهم ، فخرج إليهم الراهب — وكانوا قبل ذلك يمرُّون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت . قال : فهم يحلُّون رحالهم ؛ فجعل[٢] يتخلّلُهُم حتى جاء فأخَذَ بيد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : هذا سيّدُ العالمين، هذا رسولُ ربّ العالمين ؛ هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين . فقال له أشياخ قُريش: ماعَلَّمَكَ[٣] ؟ قال : إنّكم حين أشرفتم من العقَبة لم تبق شَجرَة ولاحَجَر إلاّخرّ ساجداً ؛ ولا يسجدون إلا لنبيّ، وإني أعرِفه بخاتَم[٤] النبوّة، أسفلَ من غُضْرُوفِ كِتفه مثل التّفاحة .

ثم رجع فصَنَع لهم طعامًا ، فلما أتاهم به كان هو في رِعْيَة الإبل . قال : أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غَمامة ، فقال : انظروا إليه ؛ عليه غمامة تُظلُّه ! فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فَيْء الشجرة ، فلما جلس مالَ فيْء الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى فَيْء الشجرة مال[٥] عليه ؛ قال :
١/١١٢٦ فبينما هو قائم عليهم ؛ وهو يناشدُهم ألاّ يذهبوا به إلى الرّوم؛ فإنّ الرّوم إن رأوْه عرفوه بالصّفة فقتلوه ، فالتفتَ فإذا هو بسبعة نفرٍ قد أقبلوا من الرُّوم ؛

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١١٨ ، ١١٩ .
(٢) ح : « وهو » .
(٣) ط : « ما علمك ؟ » .
(٤) ح : « خاتم النبوة » .
(٥) ح : « مالت » .

فاستقبلهم ، فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا أنّ هذا النبيّ خارج فى هذا الشهر ؛ فلم يبقَ طريق إلا بُعِثَ إليها ناس، وإنا اختِرْنا خيرةً، بعثنا إلى طريقك هذا ؛ قال لهم : هل خلّفتم خلفكم أحداً هو خير منكم؟ قالوا : لا ؛ إنما اخترنا خيرة لطريقك هذا ، قال : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه ، هل يستطيع أحد من الناس ردّه! قالوا : لا ؛ فتابعوه وأقاموا معه، قال : فأتاهم، فقال : أنشدكم الله ، أيكم وليّه ؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزلْ يناشده حتى ردّه ، وبعث معه أبو بكر رضى الله تعالى عنه بلالاً ، وزوّده الراهب من الكعك والزيت .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمّد بن إسحاق ، عن محمّد بن عبد الله بن قيس بن مخْرمة ، عن الحسن بن محمّد بن عليّ بن أبي طالب ، عن أبيه محمّد بن عليّ ، عن جدّه عليّ بن أبي طالب ، قال : سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، يقول : ما هممتُ بشيء ممّا كان أهلُ الجاهليّة يعملون به غيرَ مرّتين ، كلّ ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك . ثمّ ما هممتُ بسوء حتى أكرمني الله عزّ وجلّ برسالته ؛ فإنّي قد قلت ليلةً لغلامٍ من قريش كان يرعى معي بأعلى مكة : لو أبصرتَ لى غنمي حتى أدخلَ مكّة ، فأسمرَ بها كما يسمرُ الشباب ! فقال : أفعل ؛ فخرجتُ أريد ذلك ؛ حتى إذا جئتُ أوّلَ دارٍ من دور مكّة ، سمعت عزْفاً بالدّفوف والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : فلان ابن فلان تزوّج بفلانة بنت فلان . ١١٢٧/١
فجلستُ أنظر إليهم ، فضرب الله على أذني فنمْت فما أيقظني إلاّ مسّ الشمس ؛ قال : فجئت صاحبي ، فقال : ما فعلت؟ قُلت : ما صنعت شيئاً ، ثم أخبرته الخبر . قال : ثم قلتُ له ليلةً أخرى مثلَ ذلك ، فقال : أفعل ، فخرجتُ فسمعتُ حين جئت مكّة مثلَ ما سمعت حين دخلتُ مكّة تلك اللّيلة؛ فجلستُ أنظر ، فضرب الله على أذني ؛ فوالله ما أيقظني إلاّ مسّ[1] الشمس؛ فرجعت إلى صاحبي فأخبرته الخبر . ثم ما هممتُ بعدها بسوء حتى أكرمني الله عزّ وجلّ برسالته .

(١) ر : « حر الشمس » .

ذكر تزويج النبيّ
صلّى الله عليه وسلّم خديجةَ رضى الله عنها

قال هشام بن محمّد: نكَح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خديجةَ؛ وهو ابنُ خمس وعشرين سنة ، وخديجة يومئذ ابنةُ أربعين سنة .

حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق ، قال : كانت خديجة بنت خويلد بن أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ امرأة تاجرةً ، ذات شرف ومال ، تستْتجِرُ[1] الرجال فى مالها، وتضاربُهم إيّاه بشىء تجعله لهم منه ، وكانت قريشٌ قومًا تجاراً ؛ فلما بَلَغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ما بلَغها من صِدْق حَدِيثه، وعِظَمِ أمانته ، وكَرَم أخلاقه ؛ بعثتْ إليه ، فعرضت عليه أن يخرُج فى مالها إلى الشأم تاجراً ، وتعطيَه أفضلَ ما كانت تُعْطِى غيرَه من التجّار؛ مع غلامٍ لها يقال له مَيْسرة . فقبله منها رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ، فخرج فى مالها ذلك ؛ وخرَج معه غلامها مَيْسَرَة ؛ حتى قَدِما الشأم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظِلّ
١١٢٨/١ شجرة قريبًا من صَوْمعة راهب من الرّهبان[2] ، فأطْلَع الراهب رأسه إلى مَيْسرة فقال : مَنْ هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ فقال له ميسرة : هذا رجلٌ من قريشٍ ، من أهل الحَرم ، فقال له الراهب : ما نزَل تحت هذه الشجرةَ قطّ إلاّ نبىّ[3] ، ثم باع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سِلْعته الّتى خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشترىَ ، ثم أقبل قافلا إلى مكة ؛ ومعه مَيْسرة . فكان ميسَرة — فيما يزعمون — إذا كانت الهاجِرة واشتدّ الحرّ يرَى ملَكيْن يُظلّلانِه من الشّمس ، وهو يسير على بعيره . فلما قدِمَ مكة على خديجة بمالِها ، باعت ماجاء به فأضعفت ، أو قريبًا من ذلك . وحدّثها ميسرة عن

---

(١) ر، و ابن هشام : « تستأجر » .

(٢) هو نسطورا ؛ وليس هو بحيرى المتقدم ذكره ،كذا قاله السهيلى .

(٣) قال السهيلى : « يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبى ؛ لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك » .

قول الرّاهب ، وعمّا كان يرَى من إظلال الملَكيْن إيّاه — وكانت خديجة امرأةً حازمة لبيبة شريفة ؛ مع ما أراد الله بها من كرامته — فلما أخبرها ميسرة بما أخبرَها، بعثتْ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ،فقالت له — فيما يزعمون — : يابن عمّ ، إنّى قد رغبتُ فيك لقرابتك وسِطَتك[1] فى قومك، وأمانتك وحسن خُلقك وصدق حديثك . ثم عرَضت عليه نفسَها ، وكانت خديجة يومئذ أوسطَ نساء قريش نسبًا ، وأعظمهنّ[2] شرفًا ، وأكثرهُنّ مالاً ؛ كلُّ قومِها كانَ حريصًا على ذلك منها لو يقدرُ عليها[3] .

فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ذكَر ذلك لأعمامه ، فخرج معه حمزة بن عبد المطلب عمّه ؛ حتى دخل على خُويلد بن أسد[4] ، فخطبها إليه فتزوّجها ، فولَدتْ له ولده كلّهم إلاّ إبراهيم : زينب، ورقيّة ، وأمّ كلثوم ، وفاطمة ، والقاسم — وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلّم — والطّاهر والطّيب . فأمّا القاسم والطّاهر والطّيب ؛ فهلكوا فى الجاهلية، وأما بناته فكلّهنّ أدركْن الإسلام فأسلمنَ ، وهاجرْنَ معه صلى الله عليه وسلّم[5] . ١١٢٩/١

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد، قال : حدّثنا محمّد ابن عمر ، قال : حدّثنا معمَر وغيره ، عن ابن شِهاب الزّهرىّ — وقد قال ذلك غيرهُ من أهل البلد : إن خديجة إنما كانت استأجرتْ رسول الله صلى الله

---

(١) السطة : مثل الوسط ؛ وهو من أوصاف المدح والتفضيل .

(٢) فى الأصول : « وأعظمهم » ؛ وما أثبته من ابن هشام .

(٣) ابن هشام : « لو يقدر عليه » ؛ وبعدها هناك : « وهى خديجة بنت خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤىّ بن غالب بن فهر . وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر . وأم فاطمة هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب ابن فهر . وأم هالة قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر» .

(٤) قال السهيلىّ : « وذكر غير ابن إسحاق أن خويلداً كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة رضى الله عنها هو عمها عمرو بن أسد؛ قاله المبرد وطائفة معه . وقال أيضاً : إن أبا طالب هو الذى نهض مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهو الذى خطب خطبة النكاح » .

(٥) الخبر فى سيرة ابن هشام ١ : ١٢١ — ١٢٣ .

عليه وسلّم ورجلاً آخر من قُريش إلى سوق حُباشة بتِهامة ؛ وكان الذى زوّجها إياه خُويلد، وكان التى مشت[١] فى ذلك مولاةٌ مولّدة من مولّدات مكّة.

قال الحارث : قال محمّد بن سعد : قال الواقدىّ : فكلّ هذا غلطٌ .

قال الواقدىّ: ويقولون أيضًا إنّ خديجة أرسلتْ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلّم تدعوه إلى نفسها — تَعْنى التزويج — وكانت امرأةً ذاتَ شرف ، وكان كلّ قريش حريصًا على نِكاحها — قد بذلوا الأموال[٢] لو طمعوا بذلك ، فدعتْ أباها فسقته خمراً حتى ثَمِل ، ونحرَتْ بقرة وخلّقته بخَلوق، وألبسته حُلّةً حِبَرْةً ، ثم أرسلتْ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى عمومته ، فدخلوا عليه ، فزوّجه[٣] ، فلمّا صحا قال: ما هذا العقير ؟ وما هذا العبير ؟ وما هذا الحبير ؟ قالت : زوجتَنى محمّد بن عبد الله، قال: ما فعلتُ أنّى أفعل هذا وقد خطبكِ أكابرُ قريش ، فلم أفعل !

قال الواقدىّ: وهذا غلطٌ ، والثَّبَت عندنا المحفوظ[٤] من حديث محمّد ابن عبد الله بن مسلم ، عن أبيه ، عن محمّد بن جُبَير بن مطعِم . ومن حديث ابن أبى الزّناد ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن عائشة . ومن حديث ابن أبى حبيبة ، عن داود بن الحُصَين ، عن عكرمة، عن ابن عبّاس ؛
١١٣٠/١ أن عَمّها عمرو بن أسَد زوّجها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأنّ أباها مات قبل الفِجار[٥] .

* * *

قال أبو جعفر : وكان منزل خديجة يومئذ المنزل الذى يعرف بها اليوم ، فيقال : منزل خديجة ، فاشتراه معاوية — فيما ذكر — فجعله مسجداً يصلّى فيه الناس ، وبناه على الّذى هو عليه اليوم لم يغيّر . وأمّا الحجر الذى على باب البيت عَنْ يَسار مَنْ يدخل البيت فإنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس تَحته يستتِر به من الرَّمْى إذا جاءه من دار أبى لَهَب ، ودار عدىّ ابن حمراء الثّقَفِىّ خَلْفَ دارِ ابن علْقَمة ، والحجَر ذراعٌ وشبر فى ذراع .

(١) م : « الذى مشى » .
(٢) ح : « لها المال » .
(٣) ر : « فزوجها » .
(٤) ابن سعد : « المحفوظ عن أهل العلم » .
(٥) الخبر فى طبقات ابن سعد ١ : ١٣٢ ، ١٣٣

ذكر باقى الأَخبار عن الكائن من أَمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل أَن ينبَّأ ، وما كان بين مولده ووقت نبوّته من الأَحداث فى بلده

قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبلُ سببَ تزويج النبىّ صلى الله عليه وسلّم خديجة واختلاف المختلفين فى ذلك ، ووقت نكاحه صلّى الله عليه وسلّم إيّاها . وبَعْدَ السنة التى نكحها فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم هَدَمتْ قريش الكعبة بعشر سنين ثم بنَتها — وذلك فى قول ابن إسحاق — فى سنة خَمسٍ وثلاثين من مولِد رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

وكان سبب هَدْمِهِمْ إياها فيما حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، أنّ الكعبة كانت رَضْمة[1] فوق القامة ، فأرادوا رَفْعها وتسقيفها ؛ وذلك أنّ نفراً من قريش وغيرهم سرَقوا كنز الكعبة ؛ وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة .

* * *

وكان أمرُ غَزالَى الكعبة — فيما حُدّثت عن هشام بن محمد، عن أبيه — أنّ الكعبة كانت رفعت حين غرق قوم نوح ، فأمر الله إبراهيم خليلَه عليه السلام ١١٣١/١
وابنَه إسماعيل أن يعيدا بناء الكعبة على أسّها الأول ، فأعادا بناءها ، كما أنزل فى القرآن : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[2] ، فلم يكن له ولاةٌ منذ زمن نوح عليه السلام ؛ وهو مرفوع . ثم أمر الله عزّ وجلّ إبراهيمَ أن ينزل ابنهُ إسماعيل البيت ، لِما أراد الله من كرامة مَنْ أكرمه بنبيه محمد صلّى الله عليه وسلّم ، فكان إبراهيم خليلُ الرحمن وابنه إسماعيلَ يليَان البيت بعد عَهْدِ نوح ، ومكّة يومئذ بلاقع ؛ ومن حَوْلِ مكة يومئذ جُرْهم والعماليق . فنكح إسماعيل عليه السلام امرأة من

---

(١) فى ابن هشام : « رضما » ؛ والرضم : أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط .

(٢) سورة البقرة : ١٢٧ .

جُرْهم ؛ فقال فى ذلك عمرو بن الحارث بن مُضَاض :

وصاهَرَنا مَنْ أكْرَمُ النَّاسِ وَالدًا فأبناؤُهُ مِنَّا ونَحْنُ الأَصاهِرِ

فولِىَ البيت بعد إبراهيم إسماعيل ، وبعد إسماعيل نَبْت ؛ وأمُّه الجرهميّة ؛ ثم مات نَبْت ، ولم يكْثر ولد إسماعيل ، فغلبت جُرْهم على ولاية البيت ؛ فقال عمرو بن الحارث بن مُضاض :

وكُنَّا وُلَاةَ البَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابتٍ نَطُوفُ بِذَاكَ البَيْتِ ،والخيرُ ظَاهِرُ

فكان أولَ مَنْ وَلِىَ من جُرْهُم البيتَ مُضاض ، ثم وليته بعده بنُوه كابراً بعد كابر[١] ؛ حتى بغتْ جُرهُم بمكّة ، واستحلّوا حرمتها ، وأكلوا مالَ الكعبة الذى يُهْدَى لها ، وظلموا مَنْ دخل مكّة ، ثم لم يتناهَوْا حتى جعل الرجُلُ منهم إذا لم يجد مكانًا يزنى فيه يدخل الكعبة فزنى . فزعموا أنَّ أُسافا بغَى بنائلة فى جوْف الكعبة ، فمُسخا حَجَرين ، وكانت مكّة فى الجاهلية لا ظلمَ ولا بَغْىَ فيها ، ولايستحِلُّ حرمتها ملِكٌ إلاّ هلك مكانه ١/١١٣٢

فكانت تسمى النّاسّة ،وتُسمَّى بكّة ،تَبُكُّ أعناق البغايا إذا بغَوْا فيها ؛ والجبابرة .

قال : ولمّا لم تتناهَ جُرْهم عن بَغْيها ، وتفرّق أولاد عمرو بن عامر من اليمن ، فانخزع[٢] بنو حارثة بن عمرو ،فأوْطنوا[٣] تهامة — فسمّيت[٤] خُزاعة ، وهم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة — وأسلم ومالك وملْكان بنو أفْصَى بن حارثة ، فبعث الله على جُرْهم الرّعاف والنّمل ، فأفناهم .فاجتمعت خُزاعة ليجلُوا مَنْ بَقِىَ ، ورئيسُهم عمرو بن ربيعة بن حارثة ، وأمّه فُهَيرة بنت عامر بن الحارث ابن مُضاض ، فاقتتلوا . فلمّا أحسّ عامر بن الحارث بالهزيمة ، خرج بغزالَىِ الكعبة وحجر الرّكن يلتمس التوبة ، وهو يقول :

---

(١) ر : « وعن كابر » .

(٢) انخزعوا ، أى تخلفوا .

(٣) أوطن بالمكان : أقام .

(٤) ط : « سميت » .

لَاهُمَّ إنَّ جُرْهُماً عِبادُكْ   النَّاس طُرْفٌ وَهُمُ تِلَادُكْ
* بِهِمْ قَدِيماً عمِرَتْ بِلَادُكْ *

فلم تُقْبَل توبتُه، فألقى غزالَى الكعبة وحجر الرّكن فى زمزم، ثم دفنها وخرج مَنْ بقى من جُرْهم إلى أرض من أرض جهينة، فجاءهم سيل أَتِىٌّ فذهب بهم، فذلك قول أمية بن أبى الصّلت:

وَجُرْهُمُ دَمَّنُوا تِهَامَةَ فى الـدّهْرِ فَسَالَتْ بِجَمْعِهِمْ إِضَمُ[1]

١١٣٣/١ ووَلِىَ البيت عمرو بن ربيعة. وقال بنو قصّى: بل وَلِيَه عمرو بن الحارث الغُبْشَانِىّ[2]، وهو يقول:

وَنَحْنُ وَلِينا البَيْتَ مِنْ بَعْدِ جُرْهُمٍ   لِنَعْمُرَهُ مِنْ كُلِّ باغٍ ومُلْحِدِ

وقال:

وادٍ حَرَامٌ طَيْرُهُ وَوَحْشُهُ   نَحْنُ وُلَاتُهُ فَلَا نَغُشُّهُ

وقال عامر بن الحارث:

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الحجُونِ إلى الصَّفَا   أَنِيسٌ ولم يَسْمُرْ بمَكَّةَ سَامِرُ
بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا   صُرُوفُ اللَّيَالِى وَالْجُدُودُ الْعَوَاثِرُ

وقال:

يأيُّها النَّاسُ سِيرُوا إنَّ قَصْرَكُمُ   أَنْ تُصْبِحُوا ذَاتَ يَوْمٍ لَاتَسِيرُونَا[3]
كُنَّا أُناساً كما كُنْتُمْ فغَيَّرَنا   دَهْرٌ، فأنْتُمْ كما كُنَّا تَكُونُونا
حُثُّوا المَطِىَّ وأَرْخُوا من أَزِمَّتِهَا   قَبْلَ الْمماتِ وَقَضُوا ما تُقَضُّونا

١١٣٤/١ يقول: اعملوا لآخرتكم، وافرُغوا من حوائجكم فى الدنيا؛ فولِيَتْ خُزاعة البيتَ؛ غير أنه كان فى قبائل مُضر ثلاث خِلال: الإجازة بالحجّ للناس من

---

(١) معجم ما استعجم ١٦٦.
(٢) فى الأصول: «الغسانى»؛ وانظر كتاب الاشتقاق ٤٧٩.
(٣) قصركم: نهايتكم وغايتكم.

عرفة ، وكان ذلك إلى الغَوْث بن مُرّ — وهو صُوفة — فكانت إذا كانت الإجازة قالت العرب : أجيزى صُوفة . والثانية الإفاضة من جَمْع غداة النَّحر إلى مِنًى ، فكان ذلك إلى بنى زيد بن عَدْوان ؛ فكان آخر مَنْ وَلِىَ ذلك منهم أبو سَيَّارة عُمَيْلة بن الأعزل بن خالد بن سعد بن الحارث بن وابش[1] ابن زيد ، والثالثة النَّسِىءُ للشهور الحُرُم ، فكان ذلك إلى القَلَمَّس ، وهو حُذَيْفة بن فُقَيْم بن عدىّ من بنى مالك بن كنانة ، ثم بنيه حتى صار ذلك إلى آخرهم أبى ثُمامة ، وهو جُنادة بن عوْف بن أميّة بن قَلَع بن حُذَيْفة . وقام عليه الإسلام ، وقد عادت الحُرُم إلى أصلها ، فأحكمها الله وأبطل النسىء ؛ فلمّا كثرت معدّ تفرّقت ، فذلك قول مهلهل :

غَنِيَتْ دارُنا تِهامَةَ فى الدَّهـ ... ـر وفِيها بنو مَعَدٍّ حُلُولا

وأما قريش ، فلم يفارقوا مكّة ، فلما حفر عبدُ المطلب زمزم ، وَجَدَ الغَزَالَيْن ، غَزَالَىِ الكعبة اللذيْن كانت جُرْهم دفنتْهما فيه ، فاستخرجهما ؛ وكان من أمره وأمرها ما قد ذكرت فى موضع ذلك فيما مضى من هذا الكتاب قبل .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وكان الذى وجد عنده الكنز دُوَيْكًا مولًى لبنى مُلَيْح بن عمرو ، من خزاعة . فقطعت قريش يدَه من بينهم ، وكان مِمن اتّهم فى ذلك الحارث بن عامر بن نوفل ، وأبو إهاب[2] ١١٣٥/١
ابن عُزَيْز بن قيس بن سُوَيْد التميمىّ — وكان أخا الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لأمه — وأبو لَهَب بن عبد المطّلب ؛ وهم الذين تزعم قريش أنهم وضعوا كنز الكعبة حين أخذوه عند دُوَيْك مولى بنى مُلَيْح ، فلمّا اتّهمتْهم قريش ، دلّوا على دُوَيْك ، فقُطِع ، ويقال : هم وضعوه عنده .

---

(١) ح : « واشر » ، ر : « واسر » ، والمثبت يوافق ما فى الاشتقاق ٢٦٨

(٢) كذا ضبطه صاحب القاموس بوزن كتاب .

وذكروا أنّ قريشًا حين استيقنوا بأنّ ذلك كان عند الحارث بن عامر ابن نوفل بن عبد مناف، خرجوا به إلى كاهنةٍ من كُهّان العرب، فسجعت عليه من كهانتها بألاّ يدخل مكة عشر سنين، بما استحلّ من حرمة الكعبة، فزعموا أنّهم أخرجوه من مكّة، فكان فيما حولها عشر سنين؛ وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدّة لرجل من تجّار الروم، فتحطّمت، فأخذوا خشبها فأعدّوه لسقفها؛ وكان بمكّة رجل قبطيٌّ نجّارٌ، فتهيّأ لهم فى أنفسهم بعض ما يصلحها، وكانت حيّة تخرج من بئر الكعبة التى يطرح فيها ما يهدى لها كلّ يوم، فتشرف على جدار الكعبة، فكانوا يهابونها، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحدٌ إلا احزألّتْ وكشّتْ[1] وفتحتْ فاها؛ فبينا هى يومًا تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع، بعث الله عليها طائراً، فاختطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنّا لنرجو أن يكون الله عزّ وجلّ قد رضِيَ ما أردْنا. عندنا عامل رفيقٌ، وعندنا خشبٌ، وقد كفانا الله [أمر][2] الحيّة. وذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم عامئذٍ ابن خمس وثلاثين سنة. ١/١١٣٦

فلمّا أجمعوا أمرهم فى هدْمها وبنائها، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حجرًا، فوثب من يده؛ حتى رجع إلى موْضعه، فقال: يا معشرَ قريش، لا تُدخلوا فى بنيانها من كسْبكم إلا طيّبًا، ولا تُدْخلوا فيها مهْر بغيٍّ، ولا بيع ربًا، ولا مظلمة أحدٍ من النّاس.

قال: والنّاسُ ينتحلون هذا الكلامَ الوليد بن المغيرة[3]؛ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق، عن عبد الله ابن أبى نجيح المكىّ، أنه حدّث عن عبد الله بن صفْوان بن أميّة بن

---

(١) احزألت: انضمت خوفاً، وكشت: صوتت لاحتكاك بعض جلدها ببعض.

(٢) تكملة من ح.

(٣) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم.

خلف[١] ، أنه رأى ابنًا لجعْدَة بن هُبَيْرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم يطوف بالبيت ، فسأل عنه فقيل له : هذا ابنٌ لجَعْدة ابن هُبَيرة ، فقال عند ذلك عبد الله بن صفوان جَدّ هذا — يعنى أبا وهب الذى أخذ من الكعبة حجراً حين اجتمعت قريش لهدمها ، فوثب من يَدِه حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يا معشرَ قريش ، لا تُدْخِلوا فى بنيانها من كَسْبكم إلاّ طيّبًا ، لا تُدْخِلوا فيها مَهْر بغىّ ، ولا بيع ربًا ولا مظلِمة أحدٍ .

وأبو وهب خال أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شريفًا[٢] .

١١٣٧/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق ، قال : ثم إنّ قُرَيشًا تجزّأت الكعبة ، فكان شِقُّ الباب لبنى عبد مناف وزُهرة ، وكان ما بين الرُكن الأسود والرّكْن اليمانىّ لبنى مخزوم وتيْم وقبائلَ من قريش، ضُمّوا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبنى جُمَح وبنى سَهْم[٣] ، وكان شقُّ الحِجْر — وهو الحطِيم — لبنى عبد الدّار بن قصىّ ولبنى أسد بن عبد العزّى بن قصىّ، وبنى عدىّ بن كعب .

* * *

ثم إنّ النّاس هابوا هَدْمَها وفرِقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة : أنا

---

(١) بعده فى ابن هشام : « ابن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٣٠ ، ١٣١ ، وفيها: وله يقول شاعر من العرب :

وَلَوْ بِأَبِى وَهْبٍ أَنَخْتُ مَطِيَّتِى ... غَدَتْ مِنْ نَدَاهُ رَحْلُهَا غيرَ خائبِ
بِأَبْيَضَ مِنْ فَرْعَىْ لُؤَىّ بن غالِبٍ ... إِذَا حُصِّلَتْ أَنْسَابُها فى الذّوائبِ
أَبِىٌّ لِأَخْذِ الضَّيْمِ يرتاح لِلنَّدَى ... تَوَسّطَ جَدّاهُ فُرُوعَ الأطايبِ
عَظِيمُ رَمَادِ القِدْرِ يملَأ جِفَانَهُ ... مِنَ الخُبْزِ يَعْلُوهُنّ مِثْلُ السّبائبِ

(٣) فى ابن هشام : « لبنى جمح وسهم ابنى عمرو بن هصيص بن كعب ين لؤى » .

أبدؤُكم فى هدمها ، فأخذ المِعْوَل ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهمّ لم تُرَعْ[١] ، اللهمّ لا نريد إلا الخير . ثم هَدَم من ناحية الرُّكْنين ، فتربّص النّاس به تلك اللّيلة ، وقالوا : ننظر ؛ فإن أصيبَ لم نهدمْ منها شيئًا ؛ ورددْناها كما كانت ؛ وإن لم يصبه شىءٌ فقد رضِيَ الله ما صنعنا هَدَمْنا[٢] .

فأصبح الوليد من ليلته غاديًا على عمله ، فهدم والنّاس معه ؛ حتى انتهى الهَدْم إلى الأساس ، فأفضَوْا إلى حجارة خُضْرٍ كأنّها أسِنَّة[٣] آخذٌ بعضها ببعض[٤] .

١١٣٨/١ حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض مَنْ يروِى الحديث ، أنّ رجلا من قريش ممّنْ كان يهدمها ، أدخل عتَلَةً بين حجريْن منها ، ليقلع بها أحدَهما ، فلما تحرّك الحجَر انتقضت[٥] مكة بأسْرِها ، فانتهوْا عند ذلك إلى الأساس[٤] .

قال : ثم إنّ القبائل جمَعت الحجارة لبنائها ، جعلت كلّ قبيلة تجمع على حِدَتها ، ثم بنوْا حتى إذا بلغ البنيان مَوْضِع الرّكن اختصموا فيه ؛ كلُّ قبيلةٍ تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ؛ حتى تحاوزوا[٦] وتحالفوا وتواعدوا للقتال ؛ فقرّبت بنُو عبد الدار جَفْنة مملوءة دمًا ؛ ثم تعاقدوا هم

---

(١) قال السهيلى : « قولهم : اللهم لم ترع ؛ هى كلمة تقال عند تسكين الروع والتأنيس وإظهار اللين والبر فى القول ؛ ولا روع فى هذا الموطن فينفى ؛ ولكن الكلمة تقتضى إظهار قصد البر ؛ فلذلك تكلموا بها ؛ وعلى هذا يجوز التكلم بها فى الإسلام ؛ وإن كان فيها ذكر الروع الذى هو محال فى حق البارى تعالى ؛ ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا جاز النطق بها ، ويروى أيضاً : اللهم لم نزغ ، وهو جلى لا يشكل » .

(٢) فى ابن هشام : «فقد رضى الله صنعنا فهدمنا » .

(٣) ابن هشام : «أسنمة» . قال السهيلى : «وتشبيهها بالأسنة لا تشبه بها إلا فى الزرقة ، وتشبيهها بأسنمة الإبل أولى لعظمها » .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٣١ .

(٥) فى ابن هشام : « تنقضت » ، أى اهتزت .

(٦) تحاوزوا ؛ أى انحازت كل قبيلة إلى جهة ، وفى إحدى نسخ ابن هشام : « تحاوروا » ، أى تجادلوا وكثر الكلام والحوار بينهم .

وبنو عدىّ بن كعب على الموت ، وأدخلوا أيديَهم فى ذلك الدم فى الجَفْنة ؛ فسُمُّوا لَعَقَة الدم بذلك ؛ فمكثت قريش أربع ليالٍ — أو خمس ليال — على ذلك. ثم إنّهم اجتمعوا فى المسجد ، فتشاوروا وتناصفوا ؛ فزعم بعضُ الرّواة أنّ أبا أميّة ابنَ المغيرة كان عامئذ أسنّ[1] قريش كلّها ، قال : يا معشر قريش ؛ اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول مَنْ يدخلُ من باب هذا المسجد ، يقضِي بينَكم فيه ؛ فكان أوّلَ مَنْ دخل عليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلما رأوْه قالوا : هذا الأمين ، قد رَضينا به ؛ هذا محمّد . فلمّا انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال : هَلُمّ لى ثوبًا[2] ، فأُتِيَ به . فأخذ الرّكن ، فوضعه ١/١١٣٩
فيه بيده ثم قال : لتأخذ كلُّ قبيلة بناحيةٍ من الثّوب ، ثمّ ارفعوه جميعًا ، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه بيده ، ثم بنى عليه ؛ وكانت قريش تسمّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل أن ينزل عليه الوحى الأمين[3] .

قال أبو جعفر : وكان بناءُ قريش الكعبة بعد الفِجَار بخمس عشرة سنة ، وكان بين عام الفيل وعام الفِجَار عشرون سنة .

* * *

واختلف السَّلَف فى سنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين نُبّئَ كم كانت ؟ فقال بعضهم : نُبّئَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد ما بنتْ قريش الكعبة بخمس سنين ؛ وبعد ما تمّت له من مولده أربعون سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنى محمد بن خلَف العسقلانىّ ، قال : حدّثنا آدم ، قال : حدّثنا حمّاد بن سلَمة ، قال : حدّثنا أبو جَمْرة الضّبَعىّ ، عن ابن عباس ، قال : بُعِث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأربعين سنة .

---

(١) ر : « أشرف » .

(٢) ح : « هلموا إلى بثوب » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٣١ ، ١٣٢

حدّثنا عمرو بن على وابن المثنّى ، قالا : حدّثنا يحيى بن محمّد بن قيس قال : سمعتُ ربيعة بن أبى عبد الرحمن يذكر عن أنس بن مالك ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بُعث على رأس أربعين .

حدّثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنى أبى ، قال : حدّثنا الأوزاعىّ ، قال : حدّثنى ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، قال : حدثنى أنس بن مالك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بُعث على رأس أربعين .

حدّثنى ابنُ عبد الرحيم البرْقىّ ، قال : حدّثنا عمرو بن أبى سلَمة ، عن الأوزاعىّ ، قال : حدّثنى ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، قال : حدّثنى ١/١١٤٠
أنس بن مالك ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بُعث على رأس أربعين .

حدثنى أبو شُرَحْبيل الحِمْصىّ ، قال : حدّثنى أبو اليمان ، قال : حدّثنا إسماعيل بن عيّاش ، عن يحيى بن سعيد ، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك ، قال : أنزل على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن أربعين .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا الحجّاج بن المنهال ، قال : حدّثنا حمّاد ، قال : حدّثنا عَمْرو بن دينار ، عن عُروة بن الزُّبير ، قال : بُعِث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن أربعين .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدّثنا الحجاج ، عن حمّاد ، قال : أخبرَنا عمرو ، عن يحيى بن جعْدة ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال لفاطمة : إنّه كان يُعْرَض علىّ القرآن كلّ عام مرّة ؛ وإنه قد عُرِض علىّ العامَ مرتين ، وإنه قد خُيِّلَ إلىّ أن أجَلى قد حضر ؛ وأنّ أوّلَ أهلى لحاقًا[1] بى أنتِ ؛ وإنه لم يُبعث نبىّ إلاّ بُعِث الذى بعده بنصفٍ من عمره ، وبعث عيسى لأربعين ، وبعثتُ لعشرين »[2] .

---

(١) ح : « لحوقا » .

(٢) فى ط ، وفى المقاصد الحسنة ٣٦٢ : « ما بعث الله نبياً إلا عاش نصف ما عاش النبى قبله » ، ونقله برواية أخرى فى ص٣٧٢ ، وقال : إنه موضوع .

حدثني عبيد بن محمد الورّاق ، قال : حدّثنا روْح بن عبادة ، قال : حدّثنا هشام ، قال : حدّثنا عِكْرمة، عن ابن عباس ، قال : بُعِث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأربعين سنة ، فمكَثَ بمكّة ثلاث عشرة سنة .

١١٤١/١ حدّثنا أبو كُريب، قال : حدّثنا أبو أسامة ومحمّد بن ميمون الزّعفرانىّ ، عن هشام بن حسّان ، عن عِكْرمة ، عن ابن عبّاس، قال: بُعِث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأنزل عليه وهو ابن أربعين سنة ، فمكَث بمكّة ثلاث عشرة سنة .

* * *

وقال آخرون : بل نُبِّئَ حين نُبِّئَ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا أحمد بن ثابت الرازىّ ، قال : حَدّثنا أحمد ، قال : حَدّثنا يحيى بن سعيد ، عن هِشَام ، عن عِكْرمة، عن ابن عبّاس ، قال : أنزِل على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيَّب ، قال: أنزِل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الوحىُ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حَدّثنا عبد الوهّاب، قال : حدّثنا يحيى ابن سعيد ، قال : سمعت سعيداً — يعنى ابن المسيَّب — يقول : أنزِل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الوحى ؛ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

ذكر اليوم الذى نُبِّئَ فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الشهر الذى نُبِّئَ فيه وما جاء فى ذلك

قال أبو جعفر : صَحّ الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم بما حدّثنا به ابن المثنّى، قال : حدّثنا محمّد بن جعفر، قال : حدّثنا شُعبة ، عن غَيْلان بن جرير ، أنه سمع عبد الله بن معبد الزِّمّانىّ ، عن أبى قَتادة الأنصارىّ ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم سئل عن صوم الاثنين، فقال : ذلك يوم وُلدتُ فيه ، ويوم بعثتُ — أو أنزل علىّ فيه .

حدّثنا أحمد بن منصور ، قال : حدّثنا الحسن بن موسى الأشيب، قال : حدّثنا أبو هلال ، قال : حدّثنا غَيْلان بن جرير المَعْوَلِىّ قال :
حدّثنا عبد الله بن معبد الزِّمّانىّ، عن أبى قَتادة، عن عمر رحمه الله أنه قال ١١٤٢/١
للنبىّ صلى الله عليه وسلّم :يا نبىّ الله ، صومُ يوم الاثنين ؟ قال : ذاك يوم وُلدتُ فيه ، ويوم أنزلت علىّ فيه النبوّة .

حدّثنا إبراهيم بن سعيد ، قال : حدّثنا موسى بن داود ، عن ابن لَهيعة، عن خالد بن أبى عِمران ، عن حَنَش الصَّنْعانىّ، عن ابن عباس، قال : ولد النبىّ صلى الله عليه وسلّم يوم الاثنين ، واستنبِئ يوم الاثنين[1] .

قال أبو جعفر : وهذا ممّا لا خلاف فيه بين أهل العلم .

* * *

واختلفوا فى أىّ الأثانين كان ذلك ؟ فقال بعضُهم : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلّم لثمانِىَ عشرة خلَتْ من رمضان .

* ذكر من قال ذلك ·

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن الحسَن بن دينار ، عن أيّوب ، عن أبى قُلابة عبد الله بن زيد

(١) طبقات ابن سعد ١ : ١٩٣ .

الجَرْمى ، أنه كان يقول — فيما بلغه وانتهى إليه من العلم : أنزِل الفرقان على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم لثمانىَ عشرة ليلةً خلَتْ من رمضان .

* * *

وقال آخرون : بل أنزل لأربع وعشرين ليلة خلَتْ منه .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، قال : حدّثنى مَنْ لا يُتّهم[1] ، عن سَعيد بن أبى عَروبة، عن قَتادة ابن دِعامة السدُوسىّ، عن أبى الجَلْد ، قال: نزَل الفرقان لأربع وعشرين ليلة خلَتْ من رمضان .

* * *

وقال آخرون : بل نزل لسبعَ عشرة خلَتْ من شهر رمضان ؛ واستشهدوا[2]
١١٤٣/١ لتحقيق ذلك بقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾[3] ؛ وذلكُ ملْتقَى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمشركين ببدْر ؛ وأنّ التقاء رسول الله صلى الله عليه وسلّم والمشركين ببدْر كان صبيحة سبع عشرة من رمضان .

* * *

قال أبو جعفر: وكانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم من قبل أن يظهرَ له[4] جبريل عليه السّلام برسالة الله عزّ وجلّ إليه — فيما ذكر عنه — يرى ويعاين آثاراً وأسباباً من آثار مَنْ يريد الله إكرامه واختصاصه بفضله ؛ فكان مِنْ ذلك ما قد ذكرت فيما مضى من خبره عن المَلَكيْن اللذيْن أتياه فشقّا بطنه ، واستخرجا ما فيه من الغِلّ والدّنَس؛ وهو عند أمّه من

---

(١) ح : « أتهم » .

(٢) ر ، م : « واستشهد لتحقيق قوله » .

(٣) سورة الأنفال ٤١ .

(٤) ح : « عليه » .

الرضاعة حَليمة ، ومن ذلك أنه كان إذا مرّ فى طريق لا يمرّ — فيما ذكر — عنه بشجرٍ ولا حَجَر فيه إلاّ سلّم عليه .

حدّثنى الحارث بن محمّد ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : أخبرَنا محمّد بن عمر ، قال : حدّثنا علىّ بن محمّد بن عبيد الله بن عمر بن الخطّاب ، عن منصور بن عبد الرحمن ، عن أمّه ، عن بَرّة بنت أبى تجراة ، قالت : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم حين أراد الله كَرامته وابتداءه[1] بالنبوّة ، كان إذا خرج لحاجته أبْعَدَ حتى لا يرى بيتًا ، ويفضِى إلى الشّعاب وبطون الأوْدية ، فلا يمرّ بحجرٍ ولا شجرةٍ إلاّ قالت : السّلام عليك يا رسولَ الله ، فكان يلتفِتُ عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً[2] .

قال أبو جعفر : وكانت الأمم تتحدّث بمبعثه وتخبر علماء كلّ أمة منها قومها بذلك ؛ وقد حَدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حَدّثنى علىّ بن عيسى الحكمىّ ، عن أبيه ، ١١٤٤/١ عن عامر بن ربيعة ، قال : سمعت زيد بن عمرو بن نُفَيل يقول : أنا أنتظر نبيًّا من ولد إسماعيل ، ثم من بنى عبد المطّلب ولا أرانى أدركه ؛ وأنا أومن به وأصدّقه ، وأشهد أنه نبىّ ، فإن طالت بك مدّة فرأيته ، فأقرئه منّى السلام ، وسأخبرك ما نَعْتُه حتى لا يخفى عليك ! قلت : هَلُمّ ، قال : هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليست تفارق عينيْه حمرة ، وخاتم النبوّة بين كتفيْه ، واسمه أحمد ، وهذا البلد مولِدُه ومبعثه ، ثم يخرجه قومه منها ، ويكرَهون ما جاء به ، حتى يهاجرَ إلى يثرب فيظهرَ أمرُه ؛ فإيّاك أن تُخدَعَ عنه ، فإنّى طُفْت البلادَ كُلّها أطلب[3] دين إبراهيم ، فكلّ من أسأل من اليهود والنّصارى والمجوس يقولون : هذا الدّين وراءك ، وينعتونه مثل ما نعتّه لك ؛ ويقولون : لم يبق نبىٌّ غيره[4] .

(١) م : « فابتدأه » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ١٥٧ .

(٣) كذا فى ح ، ر وطبقات ابن سعد ، وفى ط : « لطلب » .

(٤) طبقات ابن سعد ١ : ١٦١، ١٦٢ .

قال عامر: فلمّا أسلمتُ أخبرتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم قول زيد ابن عمرو وأقرأته منه السّلام، فردّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم؛ وترحّم[(١)] عليه، وقال: قد رأيتُه فى الجنّة يسحبُ ذيولا.

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق عمّنْ لا يُتّهم، عن عبد الله بن كعب مولى عثمان، أنه حدّث أنّ عمر بن الخطّاب بينا هو جالسٌ فى الناس فى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ إذ أقبل رجلٌ من العرب داخل[(٢)] المسجد، يريد عمر — يعنى ابن الخطّاب — فلمّا نظر إليه عمر قال: إنّ الرجلَ لعلى شِرْكه بعد، ما فارقه — أو لقد كان
١/١١٤٥ كاهنًا فى الجاهلية — فسلّم عليه الرجل، ثم جلس فقال له عمر: هل أسلمتَ؟ فقال: نعم، فقال: هلْ كنت كاهنًا فى الجاهلية؟ فقال الرجل[(٣)]: سبحان الله! لقد استقبلتَنى[(٣)] بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيّتك منذ ولّيت! فقال عمر: اللهم غَفْرًا؛ قد كنّا فى الجاهلية على شرّ من ذلك، نعبدُ الأصنام، ونعتنق الأوثان حتى أكرمَنا الله بالإسلام. فقال: نعم والله يا أمير المؤمنين؛ لقد كنت كاهنًا فى الجاهليّة. قال: فأخبِرْنا ما أعجبُ ما جاءك به صاحبك. قال: جاءنى قبل الإسلام بشهر — أو سنة — فقال لى: «ألم تر إلى الجنّ وإبلاسها، وإياسها من دينها، ولحوقها بالقِلاص وأحلاسها[(٤)]!». قال: فقال عمر عند ذلك يحدّث الناس: والله إنى لعندَ وثنٍ من أوثان الجاهلية فى نفرٍ من قريش؛ قد ذبح له رجل من العرب عجلاً فنحن ننتظرُ قَسْمَه ليقسم لنا منه، إذ سمعتُ من جوف العجل صوتًا ما سمعتُ صوتًا قطّ أنفذَ منه؛ وذلك قبل الإسلام بشهر أو شيْعه[(٥)]، يقول: يا آل ذريح؛

(١) كذا فى ر، م، وفى ط: «رحم عليه». (٢) ابن هشام: «داخلاً».

(٣ – ٣) ابن هشام: «سبحان الله يا أمير المؤمنين، لقد خلت فىّ، واستقبلتنى بأمر ما أراك قلته لأحد».

(٤) قال ابن هشام: هذا الكلام سجع وليس بشعر. والإبلاس: الذلة. والإياس: اليأس. والقلاص من الإبل: الفتية. والأحلاس: جمع حلس، وهو الكساء يوضع على ظهر البعير.

(٥) كذا فى ابن هشام، قال السهيلى: «أو شيعه، اى دونه بقليل، وشيع كل شىء ما هو تبع له». وفى ط: «أو سنة»، والأجود ما أثبته عن ابن هشام.

أمرٌ نجيح ، ورَجُلٌ يصيح ؛ يقول : لا إله إلا الله(١) .

حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا علىّ بن مجاهد ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، عن عبد الله بن كعب ، مولى عثمان بن عفّان، مثله .

حدّثنا الحارث ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثنى محمد بن عبد الله ، عن الزهرىّ ، عن محمد بن جُبير بن مطعِم ، عن أبيه ، قال : كُنّا جلوساً عند صَنم ببُوانة قبل أن يبعثَ رسولُ الله صلى الله ١١٤٦/١
عليه وسلّم بشهر ؛ نحرنا جَزُوراً ؛ فإذا صائح يصيح من جَوْف واحدة : اسمعوا إلى العجب ! ذهب استراق الوحى ، ونرمى بالشُّهُب لنبىّ بمكة اسمه أحمد ، مهاجَره إلى يثرب . قال : فأمسكنا ، وعجبنا ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلّم(٢) .

حدّثنى أحمد بن سنان القطان الواسطىّ ، قال : حدّثنا أبو معاوية قال : حدّثنا الأعمش ، عن أبى ظَبْيان ، عن ابن عبّاس ، أنّ رجلاً من بنى عامر أتَى النبىّ صلى الله عليه وسلّم ، فقال : أرنى الخاتَم الذى بين كتفيك ؛ فإن يَكُ بك(٣) طِبٌّ داويتُك ؛ فإنى أطبّ العرب ، قال : أتحبّ أن أريَكَ آية ؟ قال : نعم ؛ ادعُ ذاك العِذْق ، قال : فنظر إلى عِذْق فى نخلة ، فدعاه فجعلَ ينقُز(٤) ؛ حتى قام بين يديه ، قال : قل له فليرجِعْ ، فرجع ، فقال العامرىّ : يا بنى عامر ، ما رأيتُ كاليوم أسحر !

* * *

قال أبو جعفر : والأخبار عن الدلالة على نبوته صلّى الله عليه وسلّم أكثر من أن تحصى ، ولذلك كتاب يفرد إن شاء الله .

ونرجع الآن إلى :

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٣٩ — ١٤٠ .
(٢) طبقات ابن سعد ١ : ١٦١ .
(٣) الطبّ ها هنا : السحر .
(٤) النقز : الوثب .

ذكر الخبر عمّا كان من أمر نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم عند ابتداء الله تعالى ذكره إيّاه بإكرامه بإرسال جبريل عليه السّلام إليه بوحيه

قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبلُ بعضَ الأخبار الواردة عن أوّل وقت مجيء جبريل نبينا محمّداً صلى الله عليه وسلّم بالوحْي من الله ، وكم كان سنّ
١١٤٧/١ النبيّ صلى الله عليه وسلّم يومئذ ؛ ونذكر الآن صفة ابتداء جبريل إياه بالمصير إليه ، وظهوره له بتنزيل ربّه .

فحدّثني أحمد بن عثمان المعروف بأبي الجوزاء ، قال : حدّثنا وهب ابن جرير ، قال : حدّثنا أبي ، قال : سمعتُ النُّعمان بن راشد ، يحدّث عن الزّهريّ ، عن عُرْوة ، عن عائشة أنها قالت : كان أوّل ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلّم من الوَحْي الرؤيا الصادقة ، كانت تجيء مثلَ فَلَق الصُّبْح ، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء ، فكان بغار بحراء يتحنّث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ، ثم يرجع إلى أهله ، فيتزوّد لمثلها ؛ حتى فجأه الحقّ ، فأتاه ، فقال : يا محمّد ، أنتَ رسول الله ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : فجثوْتُ لركبتي وأنا قائم ، ثمّ زحفتُ[(١)] ترجفُ بوادِري[(٢)] ، ثم دخلت على خديجة ، فقلت : زمّلوني ، زمّلوني ! حتى ذهب عني الرَّوْع ، ثم أتاني فقال : يا محمّد ، أنت رسولُ الله . قال : فلقد هممت أن أطرَح نفسي من حالِقٍ من جبل ، فتبدّى لي حين هممت بذلك ، فقال : يا محمّد ، أنا جبريل ، وأنتَ رسول الله . ثم قال : اقرأ ، قلت : ما أقرأ ؟ قال : فأخذني فغتّني ثلاث مرات ، حتى بلغ منّي الجهد ، ثم قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[(٣)] ، فقرأتُ . فأتيتُ خديجة . فقلت : لقد أشفقتُ على نفسي ، فأخبرتها خبري ، فقالت : أبشِرْ ، فوالله لا يُخزيكَ الله أبداً ؛ ووالله إنّك لتَصِلُ

---

(١) ر والتفسير : « رجعت » .

(٢) ر والتفسير : « فؤادي » .

(٣) سورة العلق ١ .

الرَّحِم ، وتصدقُ الحديث ، وتؤدّى الأمانة ، وتحمِلُ الكَلّ وتَقْرِى الضَّيف ، وتُعين على نوائب الحقّ . ثم انطلقتْ بى إلى ورقة بن نوفل بن أسد ، قالت : اسمع من ابن أخيك ، فسألنى فأخبرته خبرى ، فقال : هذا الناموسُ ١١٤٨/١ الذى أُنزِل على موسى بن عمران ، ليتنى فيها جَذَعٌ ! ليتنى أكون حيًّا حينَ يخرجُك قومُك ! قلت : أمُخْرِجيَّ هم ؟ قال : نعم ؛ إنه لم يجئْ رجلٌ قطُّ بما جئتَ به إلاّ عُودِىَ ، ولئن أدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزّراً[1] .

ثم كان أول ما نزل علىّ من القرآن بعد «اقرأ» : ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ ، و﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ و﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾[1] .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهْب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : حدّثنى عُرْوة ، أنّ عائشة أخبرته . ثم ذكر نحوه ؛ غير أنه لم يقُلْ : « ثم كان أوّل ما أنزل علىّ من القرآن » . إلى آخره .

حدّثنا محمّد بن عبد الملك بن أبى الشّوارب ، قال : حدّثنا عبدالواحد بن زياد ، قال : حدّثنا سليمان الشّيبانىّ ، قال : حدّثنا عبدالله بن شدّاد ، قال : أتى جبريلُ محمّداً صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمّد ، اقرأ ؟ فقال : ما أقرأ ؟ قال : فضمّه[2] ، ثمّ قال : يا محمّد ، اقرأ ، قال : ما أقرأ ؟ قال : فضمّه ، ثم قال : يا محمّد ، اقرأ ، قال : وما أقرأ ؟ قال : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ حتّى بلغ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ، قال : فجاء إلى خديجة ، فقال : يا خديجة ، ما أرانى إلا قد عُرِض[3] لى ، قالت : كلاّ والله ما كان ربُّك يفعل ذلك بك ؛ ما أتيتَ فاحشةً قطّ . قال : فأتتْ

---

(١) الخبر فى التفسير ٣٠ : ١٦١ ، ١٦٢ (بولاق) .

(٢) ط : « فغمه » ، وما أثبته من التفسير .

(٣) عرض لى ، أى أصابنى مس من الجن . وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ٨٣ .

١١٤٩/١ خديجةُ ورقةَ بنَ نوفل فأخبرته الخبر ، فقال : لئن كنتِ صادقة ، إنّ زوجَك لنبيّ ، وليلقينّ من أمّته شدّة ، ولئن أدركتُه لأومِنَنّ به .

قال : ثم أبطأ عليه جبريل، فقالت له خديجة : ما أرَى ربَّك إلاّ قد قلاك، قال: فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿والضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (١) .

حدّثنا ابن حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني وهب بن كَيْسان مولى آل الزّبير ، قال : سمعتُ عبدَ الله بن الزُّبير ، وهو يقول لعُبيد بن عمير بن قتَادة الليثيّ : حدّثنا يا عُبَيْد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلّم من النبوّة حين جاء جبريل عليه السّلام ؟ فقال عُبيد ـ وأنا حاضر يحدّث عبدالله بن الزُّبير ومَنْ عنده من النّاس : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم يجاورُ فى حراء من كلّ سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنّثُ(٢) به قريش فى الجاهلية ـ والتحنث: التبرّر ـ وقال أبو طالب :

* وَرَاقٍ لِيَرْقَى فى حِرَاءٍ ونَازِلِ * (٣)

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يجاوِرُ ذلك الشهر من كلّ سنة ، يطعم مَنْ جاءه من المساكين ، فإذا قضَى رسول الله صلى الله عليه وسلّم جواره من شهره ذلك، كان أوّل ما يبدأ به ـ إذا انصرف من جواره ـ الكعبة قبل أن يدخُل بيته ، فيطوف بها سبعًا ، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله عزّ وجلّ فيه ما أراد من كرامته، من السّنة التى بعثه فيها ؛ وذلك فى شهر رمضان، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم إلى حِرَاء ـ
١١٥٠/١ كما كان يخرج لجواره ـ معه أهله؛ حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها ، جاءه جبريل بأمر الله فقال رسول الله صلى الله

(١) الخبر فى التفسير ٣٠ : ١٦٢ (بولاق) . (٢) ح : « تتحنث » .
(٣) صدره فى ابن هشام :

* وثَوْرٍ وَمَنْ أَرْسَى ثبيرًا مَكَانَهُ *

عليه وسلّم ، فجاءنى وأنا نائم بنَمَطٍ من ديباجٍ ، فيه كتاب ، فقال : اقرأ ، فقلت : ما أقرأ ؟ فغتّنى[١] ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت : ماذا أقرأ ؟ وما أقول ذلك إلا افتداءً منه أن يعود إلىّ بمثل ما صنع بى ؛ قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، قال : فقرأته ، قال: ثم انتهى ، ثم انصرفَ عنّى وهببْت من نومى ؛ وكأنّما كتب فى قلبى كتاباً .

قال : ولم يكن من خَلْق الله أحدٌ أبغضَ إلىّ من شاعر أو مجنون ؛ كنت لا أطيق أن أنظر إليهما ، قال : قلت إنّ الأبْعَدَ — يعنى نفسه — لَشاعر أو مجنون ، لاتحدّث بها عنّى قريش أبداً ! لأعمِدنّ إلى حَالِقٍ من الجبل فلأطرحنّ نفسى منه فلأقتلنّها فلأستريحنّ .

قال : فخرجت أريد ذلك ؛ حتى إذا كنت فى وسطَ من الجبل ؛ سمعت صوتاً من السّماء يقول : يا محمّد، أنتَ رسول الله ، وأنا جبريل ، قال : فرفعتُ رأسى إلى السّماء ؛ فإذا جبْرئيلُ فى صورة رجل صافّ قدميه فى أفق السماء ، يقول : يا محمّد، أنت رسول الله وأنا جبرئيل . قال : فوقفت أنظرُ إليه، وشغلنى ذلك عمّا أردت ؛ فما أتقدّم وما أتأخّر ؛ وجعلت أصرفُ وجهى عنه فى آفاق السّماء فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك ؛ فما زلتُ واقفاً ما أتقدّم أمامى ، ولا أرجع ورائى ؛ حتى بعثتْ خديجة رسلَها فى طلبى ؛ حتى بلغوا مكّة ورجعوا إليها وأنا واقف فى مكانى . ثم انصرف عنى وانصرفت راجعاً ١١٥١/١
إلى أهلى ؛ حتى أتيت خديجة ، فجلست إلى فخِذِها مُضيفاً[٢] فقالت : يا أبا القاسم ؛ أين كنت ؟ فوالله لقد بعثتُ رسلى فى طلبك ، حتى بلغوا مكة ورجعوا إلىّ . قال : قلت لها: إنّ الأبْعَدَ لشاعر أو مجنون ، فقالت :

---

(١) قال ابن الأثير : « الغت والغط سواء ؛ كأنه أراد : عصرنى عصراً شديداً حتى وجدت منه المشقة ، كما يجد من يغمس فى الماء قهرا » .

(٢) مضيفاً ، أى ملتصقاً بها مائلا إليها ؛ أضفت إلى الرجل؛ إذا ملت نحوه ولصقت به .

أعيذكَ بالله من ذلك يا أبا القاسم ! ما كان الله ليصنعَ ذلك بك مع ما أعلم منكَ من صدق حديثك ، وعظم أمانتك ، وحسن خلقك ، وصلة رحمك ! وما ذاك يا بن عمّ ! لعلّك رأيت شيئًا ؟ قال : فقلت لها : نعم . ثم حدّثتُها بالذى رأيت ؛ فقالت : أبشِرْ يابن عمّ واثبت ، فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكونَ نبيّ هذه الأمة ، ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقتْ إلى ورقة بن نوفل بن أسد — وهو ابن عمّها ، وكان ورقة قد تنصّر وقرأ الكتب ، وسمع من أهلِ التوراة والإنجيل — فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه رأى وسمع ، فقال ورقة : قُدُّوس ، قُدُّوس ! والذى نفس ورَقَة بيده ، لئن كنتِ صدقتِني يا خديجة ، لقد جاءه النّاموس[(١)] الأكبر — يعنى بالنّاموس جِبْرئيل عليه السّلام الذى كان يأتى موسى — وإنه لنبيّ هذه الأمّة ، فقولى له فليثبُتْ . فرجعت خديجة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبرته بقول ورقة ، فسهّل ذلك عليه بعضَ ما هو فيه من الهمّ ، فلما قضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جواره ، وانصرف صنع كما كان يصنع ؛ وبدأ بالكعبة فطاف بها . فلقِيَه ورقة بن نوفل ، وهو يطوفُ بالبيت ، فقال : يابن أخى ، أخبِرْنى بما رأيت أو سمعت ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال له ورقة : والذى نفسى بيده ، إنك لنبيّ ١١٥٢/١
هذه الأمّة ، ولقد جاءك النّاموس الأكبر الذى جاء إلى موسى ، ولتُكذبنّهْ ولتؤذينّهْ ، ولَتُخرجنّهْ ، ولتقاتلنّهْ ؛ ولئن أنا أدركتُ ذلك لأنصرنّ الله نصراً يعلمُه . ثم أدنى رأسَه فقبّل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إلى منزله[(٢)] .

وقد زاده ذلك من قول ورقة ثباتًا ، وخفّف عنه بعض ما كان فيه من الهمّ .

فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أبى حكيم مولى آل الزّبير ، أنه حدّث عن

---

(١) أصل الناموس ، هو صاحب سر الرجل فى خيره وشره ؛ فعبر عن الملك الذى جاء بالوحى بذلك .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٥٣ — ١٥٦ .

خديجة أنّها قالتْ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يثبّته فيما أكرمه الله به من نبوّته : يابن عمّ ، أتستطيع أن تخبرَني بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم، قالت : فإذا جاءك فأخبرنى به، فجاءه جبْرئيل عليه السّلام كما كان يأتيه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لخديجة : يا خديجة هذا جبرئيل قد جاءنى ، فقالت : نعم ، فقم يابنَ عمّ ، فاجلس على فخذِى اليُسرى ، فقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحوّل فاقعُد على فخذى اليمنى ، فتحوّل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجلس عليها ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم؛ قالت: فتحوّل فاجلس فى حجرى ، فتحوّلَ فجلس فى حجرها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، فتحسَّرت ، فألقت خِمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلّم جالسٌ فى حِجْرها ، ثم قالت : هل تراه ؟ قال : لا ، فقالت : يابن عمّ ، اثبُت وأبشر ؛ فوالله إنه لَملَكٌ وما هو بشيطان[1] .

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثت بهذا الحديث عبد الله بن الحسن ، فقال : قد سمعت أمىّ فاطمة بنت الحسين تحدّث بهذا الحديث عن خديجة، إلاّ أنّى ١١٥٣/١
قد سمعتها تقول : أدخلتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم بينها وبين درْعها، فذهب عند ذلك جبرئيل، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا لَملَك، وما هو بشيطان[1] .

حدثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا عثمان بن عمر بن فارس ، قال : حدّثنا علىّ بن المبارك ، عن يحيى — يعنى ابن أبى كثير — قال : سألتُ أبا سلمة : أىّ القرآن أنزِل أوّل ؟ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ،فقلت : يقولون : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾! فقال أبو سلمَة : سألتُ جابرَ بن عبد الله : أىّ القرآن أنزِل أوّل ؟ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فقلت : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾، فقال : لا أخبرك إلاّ ما حدّثنا النبىّ صلى الله عليه وسلّم ، قال : جاورتُ فى حِراء، فلما قضيتُ جِوارى، هبطتُ فاستبطنت الوادى،

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٥٧ .

فنوديتُ ، فنظرتُ عن يميني وعن شمالى ، وخلفى وقُدّامى ، فلم أرَ شيئًا ، فنظرتُ فوقَ رأسى ، فإذا هو جالسٌ علَى عرشٍ بين السّماء والأرض ، فخشيتُ منه ـ قال ابن المثنّى : هكذا قال عثمان بن عمر ، وإنما هو «فجُئثت منه» (١) ـ فلقيتُ خديجة ، فقلت : دثّرونى ، فدثّرونى ، وصبّوا علىّ ماءً ، وأنزل علىّ : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ .

حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا وكيع ، عن علىّ بن المبارك ، عن يحيى بن أبى كثير ، قال : سألتُ أبا سلَمة عن أوّلِ ما نزل من القرآن ، قال : نزلت : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ أوّل ، قال : قلت : إنّهم يقولون : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ ، فقال : سألت جابر بن عبد الله ، فقال : لا أحدّثك إلا ما حدّثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلّم ، قال : جاورتُ بحراء ،
١١٥٤/١ فلمّا قضيت جوارى ، هبطت فسمعت صوتًا ، فنظرت عن يمينى فلم أرَ شيئًا وعن شمالى فلم أرَ شيئًا ، ونظرت أمامى فلم أرَ شيئًا ، ونظرت خلْفى فلم أرَ شيئًا ، فرفعت رأسى ، فرأيت شيئًا ، فأتيت خديجة ، فقلت : دثّرونى ، وصبّوا علىّ ماءً ، قال : فدثّرونى وصبّوا علىّ ماء باردًا ، فنزلت : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ (٢) .

وحُدّثت عن هشام بن محمّد ، قال : أتى جبريل رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم أوّل ما أتاه ليلةَ السّبْت ، وليلة الأحد ، ثم ظهر له برسالة الله عزّ وجلّ يوم الاثنين ، فعلّمه الوضوء ، وعلّمه الصلاة ، وعلّمه : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ ، وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلّم يوم الاثنين ، يوم أوحى إليه ، أربعون سنة .

حدّثنى أحمد بن محمد بن حبيب الطّوسى ، قال : حدّثنا أبو داود الطّيالسىّ ، قال : أخبرنا جعفر بن عبد الله بن عثمان القُرشىّ ، قال : أخبرنى عمر بن

---

(١) جئثت منه ، أى خفت وفزعت ، وانظر اللسان .

(٢) الخبر فى التفسير ٢٩ : ٩٠ (بولاق) .

عروة بن الزبير ، قال : سمعتُ عروة بن الزبير يحدّث عن أبى ذرّ الغفارىّ قال : قلتُ : يا رسولَ الله ، كيف علمتَ أنك نبىّ أوّل ما علمت ، حتى علمت ذلك واستيقنت ؟ قال : يا أبا ذرّ ، أتانى ملَكان وأنا ببعض بطحاء مكة ، فوقع أحدهما فى الأرض والآخر بين السّماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو ، قال : فزنْه برجل ، فوُزِنْت برجل فرجحته ، ثم قال : زِنْه بعشرة ، فوزننى بعشرة فرجحتهم ، ثم قال : زنه بمائة ، فوزننى بمائة فرجحتهم[1] ، ثم قال : زنه بألف ، فوزننى بألف فرجحتهم ، فجعلوا ينتثرون[2] علىّ من كِفّة الميزان ، قال : فقال أحدهما للآخر : لو وزنته بأمّته رجَحها . ثم قال أحدهما لصاحبه : شُقّ بطنه ، فشقّ بطنى ،
١١٥٥/١ ثم قال أحدهما : أخرج قلبه — أو قال : شقّ قلبه — فشقّ قلبى ، فأخرج منه مغمَز الشيطان وعلَق الدّم ، فطرحها ، ثم قال أحدهما للآخر : اغسِلْ بطنه غسْل الإناء ، واغسلْ قلبه غسْل الإناء — أو اغسِلْ قلبه غسل المُلاءة — ثم دعا بالسّكينة ، كأنّها وجه هِرّة بيضاء فأدخِلَتْ قلبى ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطْ بطنه ، فخاطا بطنى ، وجعلا الخاتم بين كتِفَىّ ، فما هو إلا أن ولّيا عنّى فكأنّما أعاين الأمرَ معاينة .

حدّثنا محمّد بن عبد الأعلى ، قال : حدّثنا ابن ثَوْر ، عن معمَر ، عن الزّهرىّ ، قال : فتَر الوحىُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترةً ، فحزن حزنًا شديداً ، جعل يغدو إلى رءوس شواهق الجبال ليتردّى منها ، فكلّما أوْفى بذرْوَة جبَل تبدّى له جبْرئيل ، فيقول : إنك نبىّ الله ؛ فيسكن لذلك جأشُهُ ، وترجع إليه نفسُه ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يحدّث عن ذلك ، قال : فبينما أنا أمشى يومًا ، إذ رأيتُ الملَك الذى كان يأتينى بحِراء ، على كرسىّ بين السّماء والأرض ، فجُئِثتُ منه رعبًا ، فرجعت إلى خديجة ، فقلت : زمّلونى ، فزمّلناه — أى دثّرناه — فأنزل الله عزّ وجلّ :

---

(١) ر ، م : « فوزنتهم » .

(٢) ح ، ر : « ينثرون » .

﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ ، قال الزّهرىّ : فكان أوّل شىء أنزِل عليه : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ حتى بلغ ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(١) .

حدّثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهْب ، قال : أخبرَنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرَنى أبو سلمة بن عبد الرّحمن ، أنّ جابر بنَ عبد الله الأنصارىّ ، قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم
١١٥٦/١ وهو يحدّث عن فتْرة الوحى : بينا أنا أمشِى سمعتُ صوتًا من السّماء، فرفعت رأسى ، فإذا الملَك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسىّ بين السّماء والأرض . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجُئثت منه فرَقًا ، وجئت فقلت : زمّلونى ، زمّلونى! فدثّرونى ، فأنزل الله عزّوجلّ : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ ، قال : ثم تتابع الوحى(١) .

* * *

قال أبو جعفر : فلما أمرَ الله عزّ وجلّ نبيه محمّداً صلى الله عليه وسلم أن يقوم بإنذار قومِه عقابَ الله على ما كانوا عليه مقيمين من كفرهم بربّهم وعبادتهم الآلهة والأصنام دون الذى خلقهم ورزقهم ؛ وأن يحدّث بنعمة ربه عليه بقوله : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ ، وذلك — فيما زعم ابن إسحاق — النبوّة .

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ ، أى ما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوّة فحدّث ؛ اذكرها وادعُ إليها . قال : فجعلَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يذكر ما أنعم الله عليه وعلى العباد به من النبوّة سرًّا إلى مَنْ يطمئنّ إليه من

(١) الخبر فى التفسير ٢٩ : ٩٠ (بولاق) .

أهله ؛ فكان أوّل مَنْ صدّقه وآمن به واتّبعه من خلْق الله — فيما ذكر — زوجته خديجة رحمها الله[١] .

حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: قال الواقديّ: أصحابُنَا مجمِعون على أنّ أوّلَ أهل القبلة استجاب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم خديجة بنت خويلد رحمها الله .

* * *

قال أبو جعفر: ثُمّ كانَ أوّل شيء فرَضَ الله عزّ وجلّ من شرائع الإسلام عليه بعد الإقرار بالتوحيد والبراءة من الأوثان والأصنام وخلْع الأنداد الصلاةُ — فيما ذكر .

حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثني محمّد بن إسحاق، قال: وحدّثني بعضُ أهلِ العلم أنّ الصّلاة حين افترِضَتْ على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أتاه جبْرَئيل وهو بأعلى[٢] مكة، فهمزَ له بعقبه في ناحية الوادى، فانفجرت منه عين، فتوضّأ جبرئيل عليه السلام، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ينظر إليه ليريَه كيف الطّهور للصلاة، ثم توضّأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم كما رأى جبرئيل عليه السلام توضّأ، ثم قام جبرئيل عليه السلام، فصلّى به وصلّى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بصلاته. ثم انصرف جبرئيل عليه السّلام، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلّم خديجة، فتوضّأ لها يُريها كيفَ الطّهور للصّلاة؛ كما أراه جبرئيل عليه السلام، فتوضأتْ كما توضّأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثم صلّى بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كما صلّى به جبرئيل عليه السلام، فصلتْ بصلاته . ١١٥٧/١

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا هارون بن المغيرة وَحكّام بن سَلْم،

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) ح : « بمكة » .

عن عنبسة ، عن أبى هاشم الواسطىّ ، عن ميمون بن سيَاه ، عن أنس بن مالك ، قال : لما كان حينُ نُبِّىَ النبىّ صلى الله عليه وسلّم ، وكان ينام حولَ الكعبة ، وكانت قريش تنام حولها ، فأتاه ملكان: جبرئيل وميكائيل ، فقالا : بأيّهم أمرنا ؟ فقالا : أمِرْنا بسيّدهم ، ثم ذهبا ثم جاءا من القِبْلة ، وهم ثلاثة ، فألفَوْه وهو نائم ، فقلَبُوه لظهره ، وشقّوا بطنَه ، ثم جاءوا بماء من ماء زمزم ، فغسلوا ما كان فى بطنه من شكّ أو شِرْكٍ أو جاهليّة أو ضلالة ، ثم جاءوا بطست من ذهب ، مُلِئَ إيمانًا وحِكْمة ، فملىء بطنه وجوفه إيمانًا وحكمة ، ثم عرج به إلى السّماء الدّنيا ، فاستفتح جبرئيل ، فقالوا :

١١٥٨/١ مَنْ هذا ؟ فقال : جبْرئيل ؛ فقالوا : مَنْ معك ؟ فقال : محمّد ، قالوا : وقد بُعث ؟ قال : نعم ، قالوا : مرحبًا ، فدعَوْا له فى دعائهم ، فلمّا دخل ؛ فإذا هو برجل جَسيم وسيم ، فقال : مَنْ هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا أبوك آدم ، ثم أتوْا به إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبرئيل ، فقيل له مثل ذلك ، وقالوا فى السّموات كلّها كما قال وقيل له فى السّماء الدّنيا ، فلما دخلَ ، إذا برجُلَيْن ، فقال : مَنْ هؤلاء يا جبْرئيل ؟ فقال : يحيى وعيسى ابنا الخالة ، ثم أتى به السّماء الثالثة ، فلما دخل إذا هو برجل ، فقال : من هذا ياجبرئيل ؟ قال : هذا أخوك يوسف ، فُضّل بالحسْن على النّاس ، كما فُضّل القمر ليلة البدر على الكواكب ، ثم أتِىَ به السّماء الرابعة ، فإذا هو برجل ، فقال : من هذا ياجبرئيل ؟ فقال : هذا إدريس ، ثم قرأ : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾[1] ، ثم أتِىَ به السماء الخامسة ، فإذا هو برجل ، فقال : من هذا ياجبرئيل ؟ قال : هذا هارون ، ثم أتِىَ به السّماء السّادسة ، فإذا هو برجل فقال : من هذا ياجبرئيل ؟ فقال : هذا موسى ، ثم أتى به السّماء السابعة ، فإذا هو برجل ، فقال : مَنْ هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم ، ثم انطلق إلى الجنة ، فإذا هو بنهر أشدّ بياضًا من اللبن ، وأحلَى من العسل ، بجنبتيه قِباب الدرّ ، فقال : ما هذا ياجبرئيل ؟ فقال : هذا الكوْثرُ الذى

---

(١) سورة مريم ٥٧ .

أعطاك ربُّك، وهذه مساكنك ، قال : وأخذ جبرئيل بيده من تربته ، فإذا هو مسك أذفَرُ ، ثم خرج إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى وهى سدرة نَبْق أعظمُها أمثال الجرار ، وأصغرها أمثال البَيْض ، فدَنا ربُّك عزّ وجلّ : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾[1] ، فجعل يتغشّى السدْرَةَ من دُنُوّ[2] ربها تبارك وتعالى ، أمثال الدرّ والياقوت والزبرجد واللؤلؤ ألوان . فأوحى إلى عبده، وفهّمه وعلّمه وفرض عليه خمسين صلاة ، فمرَّ على موسى ، فقال : ما فَرَض على أمتك ؟ فقال : خمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فسَلْه التخفيف لأمّتك ، فإنّ أمّتك أضعف الأمم قوّة ، وأقلّها عمراً ؛ وذكَر ما لقى من بنى إسرائيل ، فرجع فوضع عنه عشراً ، ثم مرّ على موسى ، فقال : ارجع إلى ربّك فسله التخفيف ؛ كذلك حتى جعلها خمساً ، قال : ارجع إلى ربك فسلْه التخفيف ، فقال : لستُ براجع ؛ غيرَ عاصيك ؛ وقذف فى قلبه ألاّ يرجع ، فقال الله عزّ وجلّ : « لا يبدّل كلامى ، ولا يردّ قضائى وفرضى » ، وخفّف عن أمتى الصلاة لعشْر . قال أنس : وما وجدت ريحًا قطّ ولا ريحَ عَروس قطّ ، أطيب ريحًا من جِلْدِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ ألزقت جلدى بجلده وشمِمْتُه . ١١٥٩/١

* * *

قال أبو جعفر : ثم اختلف السَّلَف فيمن اتّبع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وآمن به وصدّقه على ما جاء به[3] من عندِ الله من الحقّ بعد زوجته خديجة بنت خويلد ، وصلّى معه .

فقال بعضهم : كان أوّل ذَكَرٍ آمن برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وصلّى معه وصدّقه بما جاءه من عند الله علىّ بن أبى طالب عليه السّلام .

---

(١) سورة النجم ٩ .

(٢) ح : « نور » .

(٣) ح : « جاءه » .

* ذكر بعض من قال ذلك ممن حضرنا ذكره :

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا إبراهيم بن المختار ، عن شعبة[١] ، عن أبى بلج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس ، قال : أوّل مَنْ صلّى علىٌّ . ١/١١٦٠

حدّثنا زكريّاء بن يحيى الضّرير ، قال: حدّثنا عبد الحميد بن بحر ، قال : أخبرنا شريك ، عن عبد الله بن محمّد بن عقيل ، عن جابر ، قال : بُعث النبيّ صلى الله عليه وسلّم يوم الاثنين ، وصلى علىٌّ يوم الثلاثاء .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا محمّد بن جعفر ، قال : حدّثنا شُعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبى حمزة ، عن زيد بن أرقم ، قال : أوّل مَنْ أسلَم مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم علىٌّ بن أبى طالب . قال : فذكرته للنَّخَعِىّ ، فأنكره ، وقال : أبو بكر أوّلُ مَنْ أسلم .

حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا وكيع ، عن شُعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبى حَمْزة مولى الأنصار ، عن زيد بن أرقم ، قال : أوّلُ مَنْ أسلم مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم علىٌّ بن أبى طالب عليه السّلام .

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا عبيد بن سعيد ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت أبا حمزة (رجلا من الأنصار) ، يقول : سمعت زيد بن أرقم ، يقول : أوّلُ رجل صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم علىٌّ عليه السّلام .

حدّثنا أحمد بن الحسن التِّرمذىّ ، قال: حدّثنا عُبيد الله بن موسى ، قال: أخبرنا العَلاء[٢] ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبّاد بن عبد الله ، قال: سمعتُ عليًّا يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصِّدّيق الأكبر ، لا يقولها بعدى إلا كاذب[٣] مُفْتَرٍ ، صلّيت مع رسول الله قبلَ النّاس بسبع سنين .

---

(١) ر : « سعيد » .
(٢) هو العلاء بن صالح التيمى (الميزان) .
(٣) ر : « كذاب » .

حدّثنى محمّد بن عبيد المحاربىّ(١) ، قال : حدّثنا سعيد بن خُثَيم ، عن أسد بن عَبَدة البجَلىّ ، عن يحيى بن عفيف ، عن عفيف ، قال : جئتُ فى الجاهلية إلى مكّة ، فنزلت على العبّاس بن عبد المطلب . قال : فلمّا طلعت ١١٦١/١
الشمس وحلّقت فى السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شابٌّ ، فرمى ببصره إلى السّماء ، ثم استقبل الكعبة ، فقام مستقبلها ، فلم يلبثْ حتى جاء غلام ، فقام عن يمينه . قال : فلم يلبَثْ حتى جاءت امرأة ، فقامت خلْفهما ؛ فركع الشابُّ ، فركع الغلام والمرأة ، فرفع الشابّ فرفع الغلام والمرأة ، فخرّ الشابّ ساجداً فسجدا معه ، فقلت : يا عبّاس ، أمر عظيم ! فقال : أمر عظيم ! أتدرِى مَنْ هذا ؟ فقلت : لا ، قال : هذا محمّد بن عبد الله بن عبدالمطّلب ، ابن أخى. أتدرِى مَنْ هذا معه ؟ قلت : لا ، قال : هذا علىٌّ بن أبى طالب ابن عبد المطلب ، ابن أخى . أتدرى مَنْ هذه المرأة التى خلْفهما ؟ قلتُ : لا ، قال : هذه خديجة بنت خُويلد ، زوجة ابن أخى ، وهذا حدّثنى أنّ ربّك ربّ السماء ، أمرهم بهذا الذى تراهم عليه ، وايْمُ الله ما أعلم على ظهر الأرض كلّها أحداً على هذا الدّين غير هؤلاء الثلاثة .

حدّثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا يونس بن بكير ، قال : حدّثنا محمّد ابن إسحاق ، قال : حدّثنى يحيى بن أبى الأشعث الكِنْدىّ ، من أهل الكوفة ، قال : حدثنى إسماعيل بن إياس بن عفيف ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كنت امرأً تاجراً ، فقدمت أيام الحج ، فأتيت العبّاس ، فبينا نحن عنده إذ خرجَ رجلٌ يصلّى ، فقام تُجاهَ الكعبة ، ثم خرجت امرأة فقامت معه تصلى ، ١١٦٢/١
وخرج غلام فقام يصلّى معه ، فقلت : يا عباس ، ما هذا الدّين ؟ إنّ هذا الدّينَ ما أدرى ما هو ؟ قال : هذا محمّد بن عبد الله ، يزعُم أنّ الله أرسله به ، وأنّ كُنوز كسرى وقيصر ستفتَح عليه ، وهذه امرأتُه خديجة بنت خُوَيلِد آمنت به ، وهذا الغلام ابنُ عَمّه علىّ بن أبى طالب ، آمن به . قال عفيف : فليتَنى كنتُ آمنتُ يومئذ فكنتُ أكون رابعًا !

(١) ر : « النجارى » .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمَة بن الفَضْل وعلىّ بن مجاهد ، قال سلَمة : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، عن يحيي بن أبى الأشعث — قال أبو جعفر : وهو فى موضع آخر من كتابى عن يحيي بن الأشعث — عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندىّ — وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس الكندىّ لأمّه ، وكان ابن عمه — عن أبيه عن جدّه عفيف ، قال : كان العبّاس ابن عبدْ المطلب لى صديقًا ، وكان يختلفُ إلى اليمن ، يشترى العِطْرَ فيبيعه أيّام الموسم ؛ فبينا أنا عند العبّاس بن عبد المطلب بِمنًى ، فأتاه رجل مجتمع ، فتوضأ فأسبغَ الوضوء ، ثم قام يصلّى ، فخرجت امرأةً فتوضّأت وقامت تصلّى ثم خرج غلام قد راهق ، فتوضأ ، ثم قام إلى جَنْبه يصلّى ، فقلت : وَيْحك يا عبّاس ! ما هذا ؟ قال : هذا ابنُ أخى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، يزعم أنّ الله بعثه رسولا ، وهذا ابنُ أخى علىّ بن أبى طالب قد تابَعه على دينه ، ١/١١٦٣ وهذه امرأته خديجة ابنة خويلد ، قد تابعتْه على دينه . قال عفيف بعد ما أسلم ورسخ الإسلام فى قلبه : يا ليتنى كُنتُ رابعًا !

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا عيسى بن سَوادة بن الجَعْد ، قال : حدّثنا محمّد بن المنكدِر[1] وربيعة بن أبى عبد الرحمن ، وأبو حازم المدنى[2] ، والكلبىّ ، قالوا : علىّ أوّل مَنْ أسلم . قال الكلبىّ : أسلم وهو ابنُ تسع سنين .

حدّثنا ابن حُميد ؛ قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان أوّل ذَكَرٍ آمن برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وصلّى معه وصدّقه بما جاءه من عند الله ، علىّ بن أبى طالب ؛ وهو يومئذ ابن عشر سنين ، وكان ممّا أنعم الله به على علىّ بن أبى طالب عليه السّلام ، أنه كان فى حِجْر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل الإسلام .

---

(١) ر وابن الأثير : « المنذر » .

(٢) ر : « المرى » .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثني عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مجاهد بن جبْر أبى الحجاج ، قال : كان مِنْ نعمة الله على علىّ بن أبى طالب ، وما صنعَ الله له وأراده به من الخير ، أنّ قريشًا أصابتْهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للعبّاس عَمّه — وكان من أيْسَرِ بنى هاشم : يا عبّاس ، إنّ أخاك أبا طالب كثيرُ العيال ، وقد أصاب النّاس ما تَرى من هذه الأزْمة ، فانطلِقْ بنا فلنخفّف عنه من عِياله ؛ آخذ من بنيه رجلا ، وتأخذ من بنيه رجلاً ، فنكفَهما عنه . قال العباس : نعم ، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا : إنّا نريد أن نخفّف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لى عَقيلاً فاصنعا ما شئتما ، فأخذ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم عليًّا فضمّه إليه ، وأخذ العبّاس جعفراً فضمّه إليه ، فلم يزل علىّ بن أبى طالب مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى بعثَه الله نبيًّا ، فاتّبعه علىّ فآمن به وصدّقه ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه[١] . ١١٦٤/١

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : فحدّثني محمّد بن إسحاق ، قال : وذكر بعضُ أهل العلم أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم كان إذا حضرت الصلاة ، خرج إلى شِعاب مكّة ، وخرج معه علىّ بن أبى طالب مستخفيًا من عَمّه أبى طالب وجميع أعمامه وسائر قومه ، فيصلّيان الصّلَوات فيها ؛ فإذا أمسيا رَجَعا ، فمكثا كذلك ما شاء الله أنْ يمكثا . ثمّ إنّ أبا طالب عَثَر عليهما يومًا وهُمَا يصلّيان ، فقال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يابن أخى ، ما هذا الدّين الذى أراك تدين به ؟ قال : أىْ عَمّ ، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ، ودين أبينا إبراهيم — أو كما قال — بعثني الله به رسولاً إلى العباد ، وأنت يا عمّ أحقّ مَنْ بذلتُ له النصيحة ، ودعوته إلى الهُدَى ، وأحقُّ مَنْ أجابنى إليه ، وأعانني عليه — أو كما قال . فقال أبو طالب : يابن أخى ؛ إنى لا أستطيع أن أفارِقَ ديني ودينَ آبائى وما كانوا عليه ؛ ولكن والله لا يُخلَص إليك[١] بشىء تكرهه ما حييت[٢] .

---

(١) ر : « لا يخلص إليك شىء » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٣ .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : وزعموا أنه قال لعلىّ بن أبى طالب : أىْ بُنىّ ، ما هذا الدين
١١٦٥/١ الذى أنت عليه ؟ قال : يا أبَهْ ، آمنتُ بالله وبرسوله وصدّقته بما جاء به ، وصلّيت معه لله . فزعموا أنه قال له : أما إنّه لا يدعوكَ (١) إلاّ إلى خيْر ، فالزمْه(٢) .

حدّثنى الحارث ، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال : أخبرنا محمّد بن عمر ، قال : أخبرنا إبراهيم بن نافع ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، قال : أسلمَ علىّ وهو ابن عشر سنين .

قال الحارث : قال ابنُ سعد : قال الواقدىّ : واجتمع أصحابنا على أنّ عليّاً أسلم بعد ما تنبّأ رسولالله صلّى الله عليه وسلّم بسنة،فأقام بمكّة اثنتى عشرة سنة .

* * *

وقال آخرون : أوّلُ مَنْ أسلم من الرجال أبو بكر رضى الله عنه .

* ذكر من قال ذلك :

* حدّثنا سهل بن موسى الرازىّ ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن مَغراء ، عن مُجالِد ، عن الشعبىّ، قال : قلت لابن عبّاس : مَنْ أوّل الناس إسلامًا ؟ فقال : أما سمعت قول حسّان بن ثابت :

إذا تذَكَّرْتَ شَجْوًا مِنْ أَخِى ثِقَةٍ ... فَاذْكُرْ أخاك أبا بَكْر بما فَعلَا(٢)
خَيْرَ البَرِيَّةِ أتْقاها وأعْدَلَهَا ... بَعْدَ النَّبِىِّ وأوْفاها بما حَمَلا
الثانِىَ التَّالِىَ المَحْمُودَ مَشْهَدُهُ ... وَأَوَّلَ الناسِ منهم صَدَّقَ الرُّسُلَا

---

(١) ح ، ر : « يدعو » . (٢) ابن هشام ١ : ١٦٣ .
(٢) ديوانه ٢٩٩ ، ٣٠٠ مع اختلاف فى الرواية .

وحدثني سعيد بن عنبسة الرازيّ ، قال : حدّثنا الهَيْثَم بن عديّ ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، عن ابن عباس نحوه[١] . ١١٦٦/١

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيي بن واضح ، قال : حدّثنا الهيثم ابن عديّ ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، عن ابن عباس نحوه .

حدّثنا بَحر[٢] بن نصر الخولانيّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن وَهْب ، قال : أخبرَني معاوية بن صالح ، قال : حدّثني أبو يحيي وضَمْرة بن حبيب وأبو طلحة ، عن أبي أمامة الباهليّ ، قال: حدّثني عمرو بن عبسة[٣] قال : أتيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو نازل بعُكاظ ، قلت: يا رسولَ الله ، مَنْ تبِعك على هذا الأمر ؟ قال : اتّبعني عليه رجلان ؛ حُرٌّ وعبد : أبو بكر وبلال ، قال : فأسلمت عند ذلك ، قال : فلقد رأيتُني إذ ذاك رُبْع الإسلام .

حدثني ابنُ عبد الرحيم البَرْقيّ ، قال : حدّثنا عمرو بن أبي سَلمة ، قال : حدّثنا صدَقة ، عن نصر بن علقمة ، عن أخيه ، عن ابن عائذ ، عن جبير بن نفير ، قال : كان أبو ذرّ وابن عَبَسة كلاهما يقول: لقد رأيتُني رُبْع الإسلام ، ولم يُسْلِم قَبْلي[٤] إلا النبيّ وأبو بكر وبلال ، كلاهما لا يدرى[٥] متَى أسلم الآخر .

حدّثنا ابنُ حَميد، قال : حدّثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : أوّل مَنْ أسلم أبو بكر .

حدّثنا أبو كُرَيب، قال : حدّثنا وكيع ، قال : حدّثنا شُعبة، عن عمرو بن مرّة ، قال : قال إبراهيم النَّخعَيّ : أبو بكر أوّل مَنْ أسلم .

* * *

---

(١) ح : « بنحوه » .
(٢) م : « يحيي » .
(٣) في الأصول : « عنبسة » .
(٤) م : « قبل » .
(٥) م : « لا ندرى » .

وقال آخرون : أسلم قبل أبى بكر جماعة .

١/١١٦٧ * ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا كنانة بن جبَلة ، عن إبراهيم بن طهْمان ، عن الحجّاج بن الحجّاج ، عن قتادة ، عن سالم بن أبى الجعْد ، عن محمد بن سعد ، قال : قلت لأبى : أكان أبُو بكر أوّلكم إسلامًا ؟ فقال : لا ، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ؛ ولكنْ كان أفضلنا إسلامًا .

* * *

وقال آخرون : كان أوّلُ مَنْ آمن واتبع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من الرجال زيد بن حارثة مولاه .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : قال الواقدىّ : حدّثنى ابن أبى ذئب ، قال : سألت الزُّهرىّ : مَنْ أوّلُ مَنْ أسلم ؟ قال : من النساء خديجة ، ومن الرّجال زيد بن حارثة .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : أخبرنا محمّد ابن عمر ، قال : حدّثنا مُصعب بن ثابت ، عن أبى الأسود ، عن سليمان ابن يسار ، قال : أوّلُ مَنْ أسلم زيد بن حارثة .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : أخبرنا محمّد — يعنى ابن عمر — قال : حدّثنا ربيعة بن عثمان ، عن عمران بن أبى أنس مثلــه .

وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدّثنا عبدُ الملك ابن مسلمة ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن أبى الأسود ، عن عُروة ، قال : أوّلُ مَنْ أسلم زيد بن حارثة .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال فى ذلك ما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة عنه : ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فكان

أوّل ذكر(١) أسلم، وصلّى بعد علىّ بن أبى طالب ، ثم أسلم أبو بكر بن ١١٦٨/١
أبى قحافة الصدّيق ، فلما أسلم أظهر إسلامه(٢) ، ودعا إلى الله عزّ وجلّ وإلى رسوله . قال: وكان أبو بكر رجلاً مألفًا لقومه، محببًا سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير أو شرّ ، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممّن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم على يديه — فيما بلغنى — عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقّاص ، وطلحة بن عبيد الله، فجاء بهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين استجابوا له ، فأسلموا وصلّوْا ، فكان هؤلاء الثمانية، النّفر(٣) الذين سبقوا إلى الإسلام، فصلّوْا وصدّقوا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وآمنوا بما جاء به من عند الله ؛ ثم تتابع الناس فى الدخول فى الإسلام ؛ الرجال منهم والنساء ؛ حتى فشا ذكر الإسلام بمكّة وتحدّث به الناس(٤) .

وقال الواقدىّ فى ذلك ما حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، عنه : اجتمع أصحابنا على أنّ أوّل أهل القبلة استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلّم خديجة بنت خويلد ، ثم اختلف عندنا فى ثلاثة نفر : فى أبى بكر وعلىّ ، وزيد بن حارثة ، أيّهم أسلم أوّل .

قال : وقال الواقدىّ : أسلم معهم خالد بن سعيد بن العاص خامسًا ، وأسلم أبو ذرّ ، قالوا : رابعًا أو خامسًا ، وأسلم عمرو بن عبسة السّلمىّ ، فيقال: رابعًا أو خامسًا . قال : فإنما اختلف عندنا فى هؤلاء النفر أيّهم أسلم ١١٦٩/١
أوّل ؛ وفى ذلك روايات كثيرة . قال: فيختلف فى الثلاثة المتقدمين ، وفى هؤلاء الذين كتبنا بعدهم .

---

(١) ر : « من »
(٢) ح ، م : « الإسلام » .
(٣) كذا فى ح وفى ط : « نفر » ، وفى ابن هشام : « النفر الثمانية » .
(٤) الخبر فى سيرة ابن هشام ١ : ١٦٤ ، ١٦٥ .

حدثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد، قال : أخبرنا محمّد بن عمر ، قال : حدّثنى مُصعب بن ثابت ، قال : حدّثنا أبوُ الأسود محمّد بن عبد الرحمن بن الأسود بن نَوْفل ، قال : كان إسلام الزُّبير بعد أبى بكر ، كان رابعًا أو خامسًا .

وأمّا ابن إسحاق، فإنّه ذكر أنّ خالد بن سعيدبن العاص وامرأته أمَينَة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة ، من خُزاعة ، أسلما بعد جماعة كثيرة غير الذين ذكرتُهم بأسمائهم ؛ أنهم كانوا من السّابقين إلى الإسلام(١) .

* * *

ثم إنّ الله عزّوجل أمر نبيّه محمّدًا صلّى الله عليه وسلّم بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدَع بما جاءه منه ، وأن يبادِىَ الناسَ بأمره ، ويدعوَ إليه ، فقال له: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٢)وكان قبل ذلك — فى السّنين الثلاث من مبعثه ؛ إلى أن أمر بإظهار الدّعاء إلى الله — مستسرًّا مخفيًا أمره صلّى الله عليه وسلّم، وأنزل عليه : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ * وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٣) ، قال: وكان أصحابُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم إذا صلَّوْا ذهبوا إلى الشّعاب ، فاستخفَوْا من قومهم ؛ فبينا سعد بن أبى وقّاص فى نفَر من أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى شِعْب من شِعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلُّون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ؛ حتى قاتلوهم ، فاقتتلوا، فضرب سعد بن أبى وقّاص يومئذ رجلاً

١/١١٧٠ من المشركين بلَحْيِ جملٍ فشجّه، فكان أوّلَ دم أهَريق(٤) فى الإسلام(٥).

فحدّثنا أبو كُرَيب وأبو السائب ، قالا : حدّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سَعيد بن جُبير ، عن ابن عبّاس ، قال :

---

(١) ابن هشام ١ : ١٦٨ .

(٢) سورة الحجر ٩٤ .

(٣) سورة الشعراء ٢١٤ — ٢١٦ .

(٤) ح : « هريق » .

(٥) الخبر فى سيرة ابن هشام ١ : ١٦٨ ، ١٦٩

صعِد رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ذات يوم الصَّفَا ، فقال : ياصَبَاحاه ! فاجتمعتْ إليه قريش ، فقالوا : مالك ؟ قال : أرأيت إنْ أخبرتكم أنّ العدوّ[1] مصبّحكم أو ممسّيكم ، أما كنتم تصدّقونى ! قالوا : بلَى ؛ قال : فإنى نذير لكم بين يدىْ عذابٍ شديد . فقال أبو لهب : تبًّا لك ! ألهذا دعوتنا — أو جمعتنا ! فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[2] إلى آخر السورة .

حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس ، قال : لما نزلتْ هذه الآية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[3] ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم حتى صعِد الصّفا ، فهتف : يا صباحاه ! فقالوا : من هذا الذى يهتِف ؟ قالوا : محمّد ، فقال : يا بنى فلان ، يا بنى عبد المطّلب ، يا بنى عبد مناف! فاجتمعوا إليه ، فقال : أرأيتكم لو أخبرتُكم أنّ خيلاً تخرج بسفْح هذا الجبَل ، أكنتم مصدّقىّ ؟ قالوا : ما جرّبنا عليك كذبًا ، قال : فإنى نذيرٌ لكم بين يدىْ عذابٍ شديد . فقال أبو لهب : تبًّا لك ! ما جمعتنا إلاّ لهذا! ثم قام، فنزلت هذه السورة : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ إلى آخر السورة .

١١٧١/١ حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن المِنْهال بن عمرو ، عن عبد الله ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، عن عبد الله بن عباس ، عن علىّ بن أبى طالب ، قال : لما نزلتْ هذه الآية على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، دعانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم فقال لى : يا علىّ ، إنّ الله أمرَنِى أن أنذِر عشيرتى الأقربين ،

---

(١) ح : « العذاب » .
(٢) سورة المسد (٣) سورة الشعراء ٢١٤

فضقتُ بذلك ذرعًا، وعرفت أنّى متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ، فصمتُّ عليه حتّى جاءنى جبرئيل فقال : يا محمد ، إنك إلاَّ تَفْعل ما تؤمر به يُعذّبْك ربُّك ، فاصنعْ لنا صاعًا من طعام ، واجعل عليه رَحْلَ شاة ، واملأ لنا عُسًّا من لبن ؛ ثم اجمعْ لى بنى عبد المطلب حتّى أكلّمهم (١)، وأبلغهم ما أمرت به ، ففعلت ما أمرنى به . ثم دعوتُهم له ؛ وهم يومئذ أربعون رجلا ، يزيدون رجلاً أو ينقصونه ؛ فيهم أعمامه : أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب ؛ فلما اجتمعوا إليه دعانى بالطّعام الذى صنعت لهم ، فجئت به ، فلما وضعتُه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلمّ حِذْيةً (٢) من اللحم ، فشقّها بأسنانه ، ثم ألقاها فى نواحى الصّحْفة . ثمّ قال : خذُوا بسم الله ، فأكل القوم حتى ما لهم بشىء حاجة وما أرى إلاّ موضع (٣) أيديهم ، وايمُ الله
١١٧٢/١ الذى نَفْسُ علىّ بيده ؛ وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكلُ ما قدمت لجميعهم . ثم قال : اسقِ القوم ، فجئتهم بذلك العُس ، فشربوا منه حتى روُوا منه جميعًا ، وايمُ الله إن كان الرجلُ الواحد منهم ليَشرب مثلَه ، فلما أراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم أن يكلّمَهم بدرَهُ أبو لهب إلى الكلام ، فقال : لَهَدَّ ما (٤) سحركم صاحبُكم ! فتفرّق القوم ولم يكلّمْهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلمّ ، فقال : الغد يا علىّ ؛ إنّ هذا الرجل سبقنى إلى ما قد سمعت من القول ، فتفرّق القوم قبل أن أكلّمهم ، فعُدْ لنا من الطعام بمثل ما صنعت ، ثم اجمعهم إلىّ .

قال : ففعلتُ ، ثم جمعتهم ثم دعانى بالطعام فقرّبته لهم ، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتّى مالهم بشىء حاجة . ثم قال : اسقهم ، فجئتهم بذلك العُسّ ، فشربوا حتى رَوُوا منه جميعًا ، ثم تكلمّ رسول الله صلى الله عليه وسلمّ ، فقال : يا بنى عبد المطلب ؛ إنى والله ما أعلمُ شابًّا فى العرب جاء قومَه

(١) م : « أعلمهم » .
(٢) الحذية من اللحم : ما قطع منه طولا .
(٣) ابن الأثير : « مواضع » .
(٤) لهدّ : كلمة يتعجب بها ، وفى ط : « لقد ما » ، والصواب ما أثبته من التفسير والنهاية لابن الأثير ٤ : ٢٤٢ .

بأفضل مما قد جئتكم به؛ إنى قد جئتكم بخير الدّنيا والآخرة ، وقد أمرنى الله تعالى أن أدعوَكم إليه ، فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيّى وخليفتى فيكم ؟ قال : فأحجم القومُ عنها جميعًا ، وقلت : وإنى لأحدثُهم سنًّا ، وأرمصهم[١] عينًا ، وأعظمهم بطنًا ، وأحمشهم ساقًا[٢] ؛ أنا يا نبىّ الله ، أكون وزيرك عليه . فأخذ برقبتى ، ثم قال : إن هذا أخى ووصىّ وخليفتى فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا . قال : فقام القوم يضحكون ، ويقولون ١١٧٣/١
لأبى طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع[٣] .

حدّثنى زكرياء بن يحيى الضرير ، قال : حدّثنا عفان بن مسلم ، قال : حدّثنا أبو عوانة ، عن عثمان بن المغيرة ، عن أبى صادق ، عن ربيعة بن ناجد ، أنّ رجلاً قال لعلىّ عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، بمَ ورثت ابنَ عمّك دون عَمّك ؟ فقال علىّ : هاؤم ! ثلاث مرات ؛ حتى اشرأبَّ الناس ، ونشروا آذانهم . ثم قال : جَمَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم — أو دعا رسول الله — بنى عبد المطلب منهم رهطه ، كلّهم يأكل الجَذَعة ويشرب الفَرْقَ[٤] ، قال : فصنع لهم مُدًّا من طعام ، فأكلوا حتى شبعوا وبقى الطّعام كما هو ؛ كأنه لم يمسّ . قال : ثم دعا بغُمَر[٥] فشربوا حتى رَوُوا وبقىَ الشراب كأنه لم يمسّ ولم يشربوا . قال : ثم قال : يا بنى عبد المطلب ، إنى بُعثتُ إليكم بخاصّة وإلى الناس بعامة ، وقد رأيتم من هذا الأمر ما قد رأيتم ، فأيّكم يبايعنى على أن يكون أخى وصاحبى ووارثى ؟ فلم يقم إليه أحدٌ ، فقمت إليه — وكنت أصغَرَ القوم — قال : فقال : اجلس ، قال : ثم قال ثلاث مرات ، كلّ ذلك أقوم إليه ، فيقول لى : اجلس ، حتى كان

---

(١) الرمص فى العين كالغمص ، وهو قذى تلفظ به ، وهو كناية عن صغر سنه .

(٢) حمش الساقين : دقيقها .

(٣) الخبر فى التفسير ١٩ : ٧٤ ، ٧٥ (بولاق)

(٤) الفرق ، بكسر الفاء ، و بعضهم يقول بالفتح : مكيال كبير لأهل المدينة يكال به اللبن .

(٥) الغمر : القدح الصغير ، وفى ر : « بعس » .

فى الثالثة، فضرب بيده على يدى، قال : فبذلك ورثتُ ابنَ عمّى دون عمّى .

فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سَلمة ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن بن أبى الحسن ، قال : لما نزلتْ هذه الآية
١١٧٤/١ على رسول الله صلّى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح ، ثم قال : يا بنى عبد المطّلب ، يابنى عبد مناف ، يا بنى قصىّ — قال : ثم فخذَ[1] قريشا قبيلة قبيلة ، حتى مرّ[2] على آخرهم — إنى أدعوكم إلى الله وأنذركم عذابه[3] .

حدّثنا الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا جارية بن أبى عمران ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، قال : أمِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يصدَع بما جاءه من عند الله ، وأن يبادِىَ الناس بأمره ، وأن يدعوَهم إلى[4] الله ، فكان يدعو مِنْ أوّل ما نزلت عليه النبوّة ثلاث سنين ، مستخفيًا ، إلى أن أمِر بالظهور للدعاء[5] .

قال ابن إسحاق — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة، عنه : فصدع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله ، وبادَى قومَه بالإسلام ، فلما فعل ذلك لم يبعد منه قومه ، ولم يردّوا عليه بعض الردّ — فيما بلغنى — حتى[6] ذكر آلهتهم وعابها ، فلمّا فعل ذلك ناكروه وأجمعُوا على خلافه وعداوته إلاّ مَنْ عصم الله منهم[7] بالإسلام ؛ وهم قليل مستخفُون، وحَدِب عليه أبو طالب عَمّه ومنعه ، وقام دونه ، ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) فخذهم : دعاهم فخذا فخذا ، والفخذ أقل من البطن ، وأولها : الشعب ثم القبيلة ، ثم الفصيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن . وانظر اللسان . وفى ر : « عد » .
(٢) ح : « أتى » .
(٣) الخبر فى التفسير ١٩ : ٧٥ (بولاق) .
(٤) م : « فأمره أن يدعوهم » .
(٥) طبقات ابن سعد ١ : ١٩٩ وهناك : « إلى أن أمر بظهور الدعاء » .
(٦) م : « عن » .
(٧) زاد فى ح : « عن ذلك » .

على أمرِ الله مظهرًا لأمره ، لا يردّه عنه شيء . فلما رأت قريش أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لايُعتبهم[١] مِنْ شيء [يكرهونه مما][٢] أنكروه عليه من فراقهم وعَيْب آلهتهم ، ورأوْا أنّ أبا طالب قد حَدِبَ عليه ، وقام
١١٧٥/١ دونه فلم يُسلِمْه لهم ، مشى رجالٌ من أشراف قريش إلى أبى طالب : عُتْبة ابن ربيعة ، وشيْبة بن ربيعة ، وأبو البَخْتَرِيّ بن هشام ، والأسود بن المطّلب ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجّاج — أو مَنْ مشى إليه منهم — فقالوا : يا أبا طالب ، إنّ ابنَ أخيك قد سَبّ آلهتَنا ، وعاب ديننا ، وسَفّه أحلامَنا ، وضلّل آباءنا ؛ فإمّا أن تكفّه عنّا ، وإما أنْ تُخلّيَ بيننا وبينه ؛ فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكَه . فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقًا ، وردّهم ردًّا جميلاً ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على ما هو عليه ؛ يظهِر دين الله ، ويدعو إليه . قال : ثم شرِيَ[٣] الأمرُ بينه وبينهم حتى تباعد الرجالُ ، وتضاغنوا ، وأكثرت قريش ذِكْرَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بينها ، وتذامروا فيه ، وحَضّ بعضُهم بعضًا عليه . ثم إنهم مَشَوْا إلى أبى طالب مرّة أخرى ، فقالوا : يا أبا طالب ، إن لك سِنًّا وشرفًا ومنزلة فينا ، وإنّا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تَنْهه عَنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شَتْم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفّه عنا أو تنازله وإيّاك فى ذلك ؛ حتى يهلِك أحدُ الفريقين — أو كما قالوا . ثم انصرفوا عنه ، فعظُم على أبى طالب فراقُ قومه وعداوتهم له ؛ ولم يطبْ نفسًا بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذْلانِه[٤] .

حدّثنى محمد بن الحسين ، قال : حدّثنا أحمد بن المفضّل ، قال :
١١٧٦/١ حدّثنا أسباط ، عن السدّيّ : أنّ ناسًا من قريش اجتمعوا[٥] ، فيهم أبو جهل

---

(١) م : « يغنيهم » ، ولا يعتبهم ، أى لا يرضيهم .
(٢) من ح .
(٣) شرى الأمر : اشتد واستطار .
(٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٩ ، ١٧٠
(٥) م : « أجمعوا » .

ابن هشام ، والعاص بن وائل ، والأسود بن المُطّلب ، والأسود بن عبد يغوث ؛ فى نفرٍ من مَشْيَخة قريش ، فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى أبى طالب فنكلِّمَه[1] فيه ؛ فلْيُنْصِفْنا منه ، فيأمره فليكفّ عن شتم آلهتنا ، وندَعه وإلهه الذى يعبد ؛ فإنّا نخافُ أن يموتَ هذا الشيخ فيكون منا شىء فتعيّرنا العرب ؛ يقولون : تركوه ؛ حتى إذا مات عَمّه تناولوه .

قال : فبعثوا رجلاً منهم يُدعَى المطّلب ، فاستأذن لهم على أبى طالب ، فقال : هؤلاء مشيَخة قومك[2] وسَرواتهم ، يستأذنون عليك ، قال : أدخلْهم ؛ فلما دخلوا عليه ، قالوا : يا أبا طالب ، أنت كبيرُنا وسيِّدنا ، فأنصِفْنا من ابن أخيك ، فمُرْه فلْيكفّ عن شَتْم آلهتنا ، وندَعَه وإلهه .

قال : فبعث إليه أبو طالب ، فلمّا دخلَ عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم قال : يابنَ أخى ؛ هؤلاء مشيَخة قومك وسَرَواتهم ، وقد سألوك[3] النَّصْف ، أن تكفّ عن شَتْم آلهتهم ويدَعُوك وإلهَك . قال : أى عمّ ، أوَلاَ أدعوهم إلى ما هُوَ خير لهم منها ؟ قال : وإلامَ تدعوهم ؟ قال : أدعوهم إلى أن يتكلّموا بكلمةٍ تدين لهم بها العرب ، ويملِكون بها العجم . قال : فقال أبو جهل من بين القوم : ما هى وأبيك ؟ لنعطينّكها[4] وعشرًا[5] أمثالها . قال : تقول : لا إله إلا الله ، قال : فنَفَروا [وتفرّقوا][6] وقالوا : سَلْنا
١١٧٧/١ غير هذه ، فقال : لو جئتمونى بالشمس حتى تضعُوها فى يدى ما سألتُكم غيرها ! قال : فغضبوا وقاموا من عنده غِضَابى ، وقالوا : والله لنشتمنّك وإلهك الذى يأمرُك بهذا ، ﴿ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾[7] .

---

(١) ر والتفسير : « فلنكلمه » .

(٢) ر : « قريش » ، وسروات القوم : سادتهم .

(٣) م : « سألوا » .

(٤) ر : « لنعطيكها » ، م : « نعطيكها » .

(٥) ح : « وعشرا معها » .

(٦) من ح وابن الأثير .

(٧) سورة ص : ٦ ، ٧ .

وأقبل على عمِّه فقال له عمّه : يابن أخى ، ما شططتَ عليهم ، فأقبل على عمِّه فدعاه ، فقال : قل كلمةً أشهدُ لك بها يوم القيامة ، تقول : لا إله إلا الله ، فقال : لولا أن تعيبكم بها العرب ، يقولون[1] : جزِع من الموت لأعطيتُكها ؛ ولكن على ملّةِ الأشياخ ، قال : فنزلت هذه الآية :

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[2].

حدثنا أبو كُرَيب وابن وَكيع ، قالا : حدّثنا أبو أسامة ، قال : حدّثنا الأعمش ، قال : حدّثنا عبّاد ، عن سعيد بن جُبير ؛ عن ابن عباس ، قال : لما مَرِض أبو طالب ، دخل عليه رَهْطٌ من قريش ، فيهم أبو جهل ، فقال : إنّ ابنَ أخيك يشتِم آلهتنا ، ويفعل ويفعل ؛ ويقول ويقول ، فلو بعثتَ إليه فنهيتَه ! فبعث إليه ، فجاء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فدخل البيت وبينهم وبين أبى طالب قَدْر مجلِس رجل ، قال : فخشِيَ أبو جهل إنْ جلس إلى جنب أبى طالب أن يكون أرقّ[3] له عليه ، فوثب فجلس فى ذلك المجلس ولم يجد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلساً قُرْبَ عمه ، فجلس عند الباب ، فقال له أبو طالب : أى ابنَ أخى ! ما بالُ قومِك يشكُونَك ؛ يزعمون أنك تشتِمُ آلهتَهم وتقول وتقول ! قال :
١١٧٨/١ وأكثروا عليه من القولِ ، وتكلّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ياعمّ ، إنى أريدهم على كلمة واحدة يقولونها ، تدين لهم بها العرب ، وتؤدّى إليهم بها العجم الجِزْية . ففزعوا لكلمته ولقوله ؛ فقال القوم كلمةً واحدة : نعم وأبيك عشرًا . فما هى ؟ فقال أبو طالب : وأىّ كلمةٍ هى يابن أخى ؟ قال : لا إله إلا الله ، قال : فقاموا فزِعين ينفضُون ثيابهم ، وهم يقولون : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ . قال : ونزلت من هذا الموضع

---

(١) ح : « تقول » ، ابن الأثير : « وتقول » .

(٢) سورة القصص ٥٦ ، والخبر فى التفسير ٢٣ : ٨١ (بولاق) .

(٣) ح : « أرأف » .

إلى قوله : ﴿ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾(١) . لفظ الحديث لأبى كريب(٢) .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فحدّثنا ابن حميد ، قال :
حدّثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثنى يعقوب
ابن عُتْبة بن المغِيرة بن الأخنس ، أنه حدّث أنّ قُريشًا حين قالت
لأبى طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال له : يابن
أخى ، إنّ قومَك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكذا ، فأبقِ علىّ وعلى نفسك
ولا تُحمِّلْنى من الأمر مالاأطيق ! فظنّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أنه
قد بدَا لعمه فيه بَدَاءٌ(٣) ، وأنه خاذلُه ومُسلِمُه ، وأنه قد ضعُف عن
نُصرته والقيامِ معه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ياعمّاه ، لو وضعوا
الشمسَ فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله
أو أهلِك فيه ما تركته.(٤) ثم استعبَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فبكَى
١١٧٩/١ ثم قام ، فلمّا ولى ناداه أبو طالب ، فقال : أقبلْ يابن أخى ، فأقبل عليه
رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : اذهب يابنَ أخى ، فقل ما أحببتَ
فوالله لا أسلِمُك لشىء أبداً .

قال : ثم إنّ قريشًا لما عرفتْ أنّ أبا طالب أبَى خذلانَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وإسلامَه وإجماعه لفراقهم فى ذلك ، وعداوتهم ، مشوْا إليه بعُمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له — فيما بلغنى : يا أبا طالب ، هذا عُمارة

---

(١) سورة ص ٥ — ٨ .

(٢) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٧٩ (بولاق) .

(٣) البداء : الاسم من « بدا » ؛ يريد : ظهر له رأى ؛ سمى الرأى بداء لأنه شىء يبدو بعد ما خفى .

(٤) قال السهيلى : «خص الشمس باليمين ؛ لأنها الآية المبصرة ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية الممحوة ؛ وقد قال عمر رحمه الله لرجل قال له : إنى رأيت فى المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ؛ ومع كل واحد منهما نجوم ! فقال عمر : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر ، قال : كنت مع الآية الممحوّة ؛ اذهب فلا تعمل لى عملا . وكان عاملا له فعزله ؛ فقتل الرجل فى صفين مع معاوية ».

ابن الوليد أنْهَدُ(١) فتىً فى قريش وأشعَرُه وأجمله ، فخذه فلك عقلُه ونُصْرته ، واتَّخذْه ولداً ؛ فهو لك ، وأسلِمْ لنا ابنَ أخيك – هذا الذى قد خالف دينَك ودينَ آبائك ، وفرّق جماعة قومك ، وسفّه أحلامَهم – فنقتله ؛ فإنما رَجلٌ كرجل ؛ فقال : والله لبئسَ ما تسومُوننى ! أتُعطوننى ابنَكم أغذُوه لكم ، وأعطيكُم ابنى تقتلُونه ! هذا والله مالا يكون أبدا(٢) . فقال المُطْعِم ابن عدىّ بن نَوْفل بن عبد مناف : والله يا أبا طالب ، لقد أنصفك قومُك ، وجهدوا على التخلّص(٣) ممّا تكرهه ، فما أراك تريد أن تَقْبل منهم شيئًا ، فقال أبو طالب للمطعِم : والله ما أنصفونِى ؛ ولكنّك قد أجمعتَ خِذلانى ومظاهرةَ القوم علىّ ، فاصنع ما بدا لك ! أو كما قال أبو طالب .

قال : فحقِب(٤) الأمر عند ذلك ، وحَميت الحرب ، وتنابذ القوم ، وبادَى بعضهم بعضًا .

قال : ثم إنّ قُريشًا تذَامروا على مَنْ فى القبائل منهم مِنْ أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم الذين أسلمُوا معه . فوثبتْ كلُّ قبيلةٍ علَى مَنْ فيها من المسلمين يعذّبونهم ويَفْتِنونهم عن دينهم ، ومنَع الله رسولَه ١١٨٠/١
منهم بعمّه أبى طالب ، وقد قام أبو طالب حينَ رأى قريشًا تصنع ما تصنع فى بنى هاشم وبنى المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منْع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، والقيام دونه . فاجتمعوا إليه ، وقاموا(٥) معه ، وأجابوا إلى ما دعاهم إليه من الدّفْع عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إلاّ ما كان من

---

(١) أنهد ، أى أقوى وأجلد ؛ ويقال : فرس نهد ؛ للذى يتقدم الخيل . قال السهيلى : « وعمارة بن الوليد هذا هو الذى أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى أرض الحبشة » .

(٢) وفى رواية أخرى عن السهيلى أن أبا طالب قال لهم حين سألوه أن يأخذ عمارة بدلا من محمد عليه السلام : « أرأيتم ناقة تحن إلى غير فصيلها وترأمه ! لا أعطيكم ابنى تقتلونه أبداً وآخذ ابنكم أكفله وأغذوه ! » ، وهو معنى ما ذكر ابن إسحاق .

(٣) ح : « أن يتخلصوا » .

(٤) فحقب الأمر عند ذلك ، قال السهيلى : « يريد اشتد ، وهو من قولك : حقب البعير ؛ إذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب . . . ثم يستعمل فى الأمر إذا عسر » .

(٥) ح : « وأقاموا » .

أبي لهب ؛ فلما رأى أبوطالب مِنْ قومه ما سرّه من جِدّهم معه ؛ وحدَبهم عليه ، جعل يمدحهم ، ويذكر فضلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ؛ ومكانه منهم ليشدّ لهم رأيهم[١] .

* * *

حدّثنا على بن نصر بن على الجهضميّ ، وعبد الوارث بن عبد الصمد ابن عبد الوارث — قال على بن نصر : حدّثنا عبدُ الصّمد بن عبد الوارث ، وقال عبدُ الوارث : حدّثنى أبى — قال : حدّثنا أبان العطّار ، قال : حدّثنا هشام بن عُروة ، عن عُروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فإنّه — يعنى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — لمّا دعا قومه لمَا بعثه[٢] الله من الهُدى والنور الذى أنزل عليه ، لم يبعُدوا منه أوّل ما دعاهم ، وكادوا يسمعون له ؛ حتى ذكر طواغيتَهم . وقدِم ناس من الطائف من قُريش لهم أموال ، أنكروا ذلك عليه ، واشتدّوا عليه ، وكرهوا ما قال [لهم][٣] ، وأغرَوْا به مَنْ أطاعهم ، فانصفق[٤] عنه عامّةُ الناس ، فتركوه إلاّ من حفظه الله منهم ؛
١١٨١/١ وهم قليل ؛ فمكث بذلك ما قدّر الله أن يمكث . ثم ائتمرت رءوسهم بأن يفتِنوا مَنْ تبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم ، فكانت فتنة شديدة الزلزال على مَن اتّبع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من أهل الإسلام ؛ فافتتن مَن افتتن ، وعصَم الله منهم مَنْ شاء ؛ فلمّا فعل ذلك بالمسلمين ، أمرهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يخرجُوا إلى أرض الحبَشة — وكان بالحبشة ملِكٌ صالح يقال له النجاشيّ ، لا يُظلَم أحدٌ بأرضه ، وكان ينثى[٥] عليه مع ذلك صلاح ، وكانت أرض الحبشة متْجَراً لقريش يتّجرون فيها ، يجدون فيها رَفاغاً[٦] من الرزق ، وأمنًا ومتجراً حسنًا —

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٧٠ ، ١٧١ .
(٢) م : « بما بعثه الله ».
(٣) من ح .
(٤) انصفقوا عنه : انصرفوا .
(٥) ينثى عليه ، أى يشيع عنه .
(٦) كذا فى الطبرى ، وفى اللسان : « ترفغ الرجل : توسع ، وإنه لنى رفاغة ورفاغية من العيش » .

فأمرهم بها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فذهب إليها عامّتهم لما قهِروا بمكّة ، وخاف عليهم الفتن ، ومكث هو فلم يبْرح ، فمكث بذلك سنوات ؛ يشتدّون على مَنْ أسلم منهم .

ثم إنه فشا الإسلام فيها ، ودخل فيه رجال من أشرافهم .

* * *

قال أبو جعفر : فاختلُف فى عددِ مَنْ خرَج إلى أرض الحبَشة ، وهاجر إليها هذه الهجرة ، وهى الهجْرة الأولى .

فقال بعضهم : كانوا أحدَ عشرَ رجلاً وأربَعَ نسوة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا يونس بن محمد الظَّفَرِىّ ، عن أبيه ، عن رجل من قومه . قال : وأخبرنا عُبيد الله بن العباس الهُذلىّ ، عن الحارث بن الفُضَيْل ؛ قالا : خرج الذين هاجروا الهجرَة الأولى متسلّلين سرًّا ، وكانوا أحدَعشرَ رجلا وأربعَ نسوة ، حتى انتهوْا إلى الشُّعَيْبة ؛ منهم الراكب والماشى ، ووفّق الله ١١٨٢/١ للمسلمين ساعة جاءوا سفينتين للتّجار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار ، وكان مَخرَجُهُم فى رجب[1] فى السنة الخامسة ، من حين نبِّئ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وخرجت قريش فى آثارهم حتى جاءوا البحر ؛ حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً .

قالوا : وقدمنا أرضَ الحبشة ، فجاورْنا بها خير جارٍ ؛ أمِنّا على ديننا ، وعبَدْنا الله ، لا نؤذَى ولا نسمعُ شيئًا نكرهه[2] .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : حدّثنى يونس بن محمد ، عن أبيه . قال : وحدّثنى

---

(١) ابن سعد : « من رجب » .
(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٢٠٤

عبد الحميد(١) ، عن محمد بن يحيى بن حَبَّان ؛ قالا : تسمية القوم الرجال والنساء : عثمان بن عفان معه امرأته رُقَيَّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عُتْبَة بن ربيعة معه امرأته سَهْلة بنت سُهَيل ابن عمرو ، والزّبير بن العوام بن خُوَيلد بن أسد ، ومُصعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار ، وعبد الرّحمن بن عوْف بن عبد عوْف ابن الحارث بن زُهرة ، وأبو سَلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر
١١٨٣/١ ابن مخزوم ؛ معه امرأته أم سلَمة بنت أبي أميّة بن المُغيرة بن عبدالله بن عمر ابن مخزوم ، وعثمان بن مظْعون الجُمَحيّ ، وعامر بن ربيعة العَنْزِيّ ؛ من عَنْز بن وائل — ليس من عَنَزَة — حليف بني عديّ بن كعب ، معه امرأته ليلَى بنت أبي حَثْمةَ ، وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزّى العامريّ ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وسُهَيْل بن بيضاء ، من بني الحارث بن فِهْر ، وعبد الله بن مسعود حليف بني زهرة(٢) .

* * *

قال أبو جعفر : وقال آخرون : كان الذين لحقوا بأرض الحبشة ، وهاجروا إليها من المسلمين — سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً وولدوا بها — اثنين وثمانين رجلا ؛ إن كان عمّار بن ياسر فيهم ؛ وهو يشكّ فيه !

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما رأى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ما يصيبُ أصحابه من البلاء ، وما هو(٣) فيه من العافية بمكانه من الله وعمّه(٤) أبي طالب ، وأنه لا يقدرُ على أن يمنعَهم ممّا هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبَشة ! فإنّ بها ملِكًا

---

(١) ابن سعد : « عبد الحميد بن جعفر » .
(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٢٠٤
(٣) م : « وما هم » .
(٤) ابن هشام : « ومن عمه » .

لا يظلَم أحدٌ عنده ، وهى أرضِ صدق ؛ حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه ! فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أرضِ الحبَشة مخافة الفِتْنة ؛ وفِراراً إلى الله عزّ وجلّ بدينهم ؛ فكانت
١/١١٨٤ أوّل هجرة كانت فى الإسلام ؛ فكان أوّلَ مَنْ خرج من المسلمين من بنى أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف عثمانُ بن عفان بن أبى العاص ابن أمية ؛ ومعه امرأته رقيَّة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومن بنى عَبْد شمس أبو حُذيفة بن عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، ومعه امرأته سَهْلة بنت سُهَيل بن عمرو ؛ أحد بنى عامر بن لؤىّ ؛ ومن بنى أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ الزبير بن العوام .

فعدّ النفَر الذين ذكرهم الواقدىّ ؛ غيرَ أنه قال : من بنى عامر بن لؤى ابن غالب بن فهر أبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العزىّ بن أبى قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى ؛ ويقال : بل أبو حاطِب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ابن عامر بن لؤىّ . قال : ويقال : هو أوّلُ مَنْ قدِمها ؛ فجعلهم ابن إسحاق عشرة ؛ وقال : كان هؤلاء العَشَرة أوّل مَنْ خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة — فيما بلغنى .

قال : ثم خرج جعفر بن أبى طالب ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ؛ فكانوا بها ، منهم مَنْ خرج بأهله معه ، ومنهم مَنْ خرج بنفسه لا أهلَ معه ؛ ثم عدّ بعد ذلك تمام اثنين وثمانين رجلا ؛ بالعشرة الذين ذكرت بأسمائهم ؛ ومَنْ كان منهم معه أهله وولده ؛ ومَنْ ولد له بأرض الحبَشة ، ومَنْ كان منهم لا أهلَ معه[١] .

* * *

١/١١٨٥ قال أبو جعفر : ولما خرج مَنْ خرجَ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرضِ الحبَشة مهاجراً إليها ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٤ .

مقيمٌ بمكة ، يدعُو إلى الله سرًّا وجهراً ، قد منَعه الله بعمّه أبي طالب وبمَن استجاب لنُصرته من عشيرته ، ورأت قريش أنّهم لا سبيلَ لهم إليه ، رموْه بالسحْر والكَهانة والجنون ؛ وأنه شاعر ، وجعلوا يصدّون عنه مَنْ خافوا منه أن يسمع قوله فيتّبعه ؛ فكان أشدّ مابلغوا منه حينئذٍ — فيما ذكر — ما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن يحيي بن عروة بن الزبير ، عن أبيه عرْوة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلتُ له : ما أكثر [١] ما رأيتَ قريشًا أصابت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما كانت تُظْهِر من عداوته ! قال : قد حضرتُهم وقد اجتمع أشرافُهم يومًا فى الحِجْر ، فذكروا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقالوا : ما رأينا مثلَ ما صبرنا عليه من هذا الرجل قطّ! سفّه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرّق جماعتنا ، وسبّ آلهتنا ! لقد صبرْنا منه على أمر عظيم — أو كما قالوا .

فبينا همْ كذلك إذْ طلَع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مرّ بهم طائفًا بالبيت ، فلما مرّ بهم غمزُوه [٢] ببعض القول . قال : فعرفتُ ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثمّ مضَى ، فلمّا مرّ بهم الثانية غمزُوه مثلها ؛ فعرَفت ذلك فى وجهه ، ثم مضَى ، ثم مرّ بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلها ، فوقف فقال : أتسمعون يا معشرَ قريش ! أما والذى نفسُ محمدٍ بيده ، لقد جئتكم بالذّبح [٣] ! قال : فأخذت القومَ كلمته ؛ ١/١١٨٦
حتى ما منهم رجلٌ إلا كأنما على رأسه طائر واقع ؛ وحتى إنّ أشدّهم فيه وصاةً [٤] قبل ذلك ليرفؤه [٥] بأحسن ما يجد من القول ؛ حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم راشداً ، فوالله ما كنتَ جهولاً [٦] !

---

(١) م : « ما أكبر » .
(٢) غمزوه : طعنوا فيه .
(٣) بالذبح ، أراد تهديدهم بالهلاك .
(٤) الوصاة : الوصية .
(٥) يرفؤه : يهدئه ويرفق به ، وفى ر : « ليلقاه » .
(٦) ر : « ما كنت جهولا قط » .

قال : فانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ حتى إذا كان الغد ، اجتمعوا فى الحِجْر ، وأنا معهم ، فقال بعضهُم لبعض : ذكرتم ما بلَغ منكم ، وما بلغـكم عنه ؛ حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه ! فبيناهم كذلك إذْ طلع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وثْبة رجل واحد ؛ وأحاطوا به يقولون له : أنت الذى تقول كذا وكذا ! لما يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ؛ فيقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : نعم أنا الذى أقول ذلك ؛ قال : فلقد رأيتُ رجلاً منهم آخذاً بمجُمْع ردائه . قال : وقام أبو بكر الصدّيق دونه ، يقول وهو يبكى : ويلكم ! أتقتلون رجلا أن يقول ربّى الله ! ثم انصرفوا عنه . فإنّ ذلك أشدّ ما رأيتُ قريشًا بلغت منه قطّ[1] .

حدّثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدّثنا بشر بن بكر ، قال : حدّثنا الأوزاعىّ ، قال : حدّثنا يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلَمة بن عبد الرحمن ، قال : قلتُ لعبد الله بن عمرو : حدّثنى بأشدّ شىء رأيتَ المشركين صنَعُوا برسولِ الله صلى الله عليه وسلم . قال : أقبل عقْبة بن أبى مُعَيْط ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند الكعبة ، فلوى ثوبه فى عنُقه ، وخنَقَه خنقًا شديداً ، فقام أبو بكر مِنْ خلْفه ، فوضع يده على منْكِبه ، فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال أبو بكر : يا قوم :﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[2]

١١٨٧/١
قال ابن إسحاق : وحدّثنى رجل من أسلم كان واعيةً ، أنّ أبا جهل ابن هشام مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس عند الصَّفا ، فآذاه وشتَمه ، ونال منه بعض ما يَكْره من العيْب لدينه والتضعيف له ، فلم يُكلّمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ومولاةٌ لعبدالله بن جُدْعان التّيمىّ فى مسكن لها فوق الصَّفا تسمع ذلك . ثم انصرف عنه ، فعمَد إلى نادى[3]

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢) سورة غافر ٢٨ .

(٣) ابن هشام : «إلى ناد من قريش» ، والنادى : مجلس القوم .

قُريش عند الكعبة ، فجلس معهم فلم يلبثْ حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشّحًا قوسَه ، راجعًا من قنَص(١) له — وكان صاحبَ قَنَص يرميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قَنَصه لم يصل إلى أهله حتى يطوفَ بالكعبة ، وكان إذا فعلَ ذلك لم يمرّ على ناد من قريش إلاّ وقف وسلم وتحدّث معهم ، وكان أعزّ قريش وأشدّها شكيمة — فلمّا مرّ بالمولاة وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع إلى بيته ، قالت : يا أبا عُمارة ، لو رأيتَ ما لقيَ ابنُ أخيك محمد آنفًا قبل أن تأتيَ من أبي الحكم بن هشام ! وجدَه ها هنا جالسًا فسبّه وآذاه ، وبلَغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلّمه محمد .

قال : فاحتمل حمزةَ الغضبُ لِمَا أراد الله به من كرامته ، فخرج سريعًا — لا يقف على أحد كما كان يصنع — يريد الطواف بالكعبة ، مُعِدًّا لأبي جهل إذا لقيَه أن يقع به ، فلمّا دخل المسجد نظر إليه جالسًا في القوم ، فأقبلَ نحوه ؛ حتى إذا قام على رأسه ، رفع القوس فضربَه بها ضربة فشجّه بها شجّة منكَرة ، وقال : أتشْتِمُه وأنا على دينه أقول ما يقول ! فرُدَّ ذلك عليّ إن

١/١١٨٨ استطعت ! وقامت رجال بني مخزوم إلى حمزة لينصُروا أبا جهل منه ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عُمارة ، فإني والله لقد سببتُ ابنَ أخيه سبًّا قبيحًا . وتمّ حمزة على إسلامه ، فلمّا أسلم حمزة عرفت قريش أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد عزّ ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفّوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضَ ما كانوا ينالون منه(٢) .

حدّثنا ابنُ حميد، قال : حدّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني يحيي بن عُروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كان أوّل من جهَر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكّة عبد الله بن مسعود، قال : اجتمع يومًا أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله ما سمعت قريشٌ بهذا القرآن يجهرُ لها به قطّ ، فمَنْ رجل يُسمعهموه ؟ فقال عبد الله

---

(١) القنص : الصيد .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٨٥

ابن مسعود : أنا ، قالوا : إنّا نخشاهم عليك ،إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، فقال : دعونى ، فإنّ الله سيمنعنى ، قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضّحى ، وقريش فى أنديتها ،حتى قام عند المقام ثم قال : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ — رافعًا بها صوته — ﴿الرَّحْمٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ،قال: ثم استقبلها يقرأ فيها ،قال: وتأمّلوا وجعلوا يقولون : ما يقول ابن أمّ عبْد ! ثم قالوا : إنه ليتلُو بعضَ ما جاء به محمد . فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلُغ . ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثّروا بوجهه ، فقالوا : هذا الذى خشِينا عليك ! قال : ما كان أعداء الله أهْوَنَ علىّ منهم الآن[1] ! لئن شئتم لأغادينّهم غداً بمثلها ، قالوا: لا ، حسبك ،فقد أسمعتَهم مايكرهون[2] ١/١١٨٩

* * *

قال أبو جعفر : ولما استقرّ بالذين هاجروا إلى أرض الحبَشة القرارُ بأرض النّجاشىّ واطمأنّوا ، تآمرت قريشٌ فيما بينها فى الكَيْد بمن صَوَى إليها من المسلمين ، فوجّهوا عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومىّ إلى النّجاشىّ ، مع هدايا كثيرة أهدوْها إليه وإلى بطارقته ، وأمروهما أن يسألا النجاشىّ تسليم مَن قِبَله وبأرضه من المسلمين إليهم. فشخَص عمرو وعبد الله إليه فى ذلك ، فنفذا لما أرسلهما إليه قومُهما ، فلم يصلا إلى ما أمّل قومهما من النجاشىّ ، فرجعا مقبوحَيْن ، وأسلم عمر بن الخطاب رحمه الله ، فلمّا أسلم — وكان رجلا جَلْداً جليداً منيعًا ، وكان قد أسلَم قبل ذلك حمزةُ ابن عبد المطّلب ، ووجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أنفسهم قوّةً ، وجعل الإسلام يفشُو[3] فى القبائل ،وحَمَى النجاشىّ مَنْ صَوَى[4] إلى بلده منهم — اجتمعت قريش ، فائتمرت بينها : أن يكتبوا بينهم كتابًا

(١) ح : « اليوم » .
(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠١
(٣) ح : « يقوى ويفشو » .
(٤) ضوى إلى بلده : لجأ إليه .

يتعاقدون فيه ؛ على ألاّ يُنكِحوا إلى بنى هاشم وبنى المطلب ، ولا يُنكحوهم ولا يبيعوهم شيئًا ، ولا يبتاعوا منهم ، فكتبوا بذلك صحيفة ، وتعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفة فى جوف الكعبة ، توكيداً بذلك الأمر على أنفسهم ،
١١٩٠/١ فلمّا فعلت ذلك قريش ، انحازت بنو هاشم وبنو المطّلب إلى أبى طالب ، فدخلوا معه فى شِعْبِه[1] ، واجتمعوا إليه ، وخرج من بنى هاشم أبو لهب عبد العزّى بن عبد المطلب إلى قريش ، وظاهَرهم عليه[2] ، فأقاموا على ذلك من أمرهم سنتيْن أو ثلاثاً ؛ حتى جهِدُوا ألاّ يصل إلى أحد منهم شىء إلا سرًّا ، مستخفيًا به مَن[3] أراد صلتهم من قريش . وذكر أن أبا جهل لقِىَ حكيم بنَ حزام بن خُويلد بن أسد ، معه غلام يحمل قمحًا يريد به عَمّته خديجة بنت خويلد ، وهى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه فى الشِّعب ، فتعلّق به ، وقال : أتذهب بالطّعام إلى بنى هاشم ! والله لا تبرحُ أنت وطعامك حتى أفضحك[4] بمكّة ! فجاء أبو البخترىّ بن هشام بن الحارث ابن أسد ، فقال : مالك وله ! قال : يحمِل الطعام إلى بنى هاشم ، فقال له أبو البخترىّ : طعامٌ لعمّته عنده بعَثَتْ إليه فيه ، أفتمنعه أن يأتيَها بطعامها ! خلِّ سبيلَ الرّجل . فأبى أبو جهل حتى نال أحدُهما من صاحبه ، فأخذ أبو البَخْترىّ لَحْىَ بعير[5] ، فضربه فشجّه ، ووطئه وطئًا شديداً ، وحمزة ابن عبد المطلب قريبٌ يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلُغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيشمَتوا بهمْ ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلّ ذلك ، يدعو قومَه سرًّا وجهراً ، آناء الليل وآناء النهار ؛ والوحى عليه من الله متتابِعٌ بأمره ونهيه ، ووعيد[6] مَنْ ناصبه العداوة ، والحجج لرسول الله
١١٩١/١ صلى الله عليه وسلّم علَى مَنْ خالفه[7] .

---

(١) الشعب : الطريق فى الجبل .

(٢) ح : « عليهم » .

(٣) ط : « ممن » ، وما أثبته من ابن هشام .

(٤) ح ، ر : « نفضحك » .

(٥) ر : « فقام أبو البخترى إلى لحى جمل » .

(٦) ح : « ووعيده » .

(٧) سيرة ابن هشام ١ : ٢١٩ ، ٢٢٠ .

فذكر أنّ أشرافَ قومه اجتمعوا له يوماً — فيما حدّثني محمد بن موسى الحَرَشيّ ، قال : حدّثنا أبو خَلَف عبد الله بن عيسى ، قال : حدّثنا داود ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ؛ أنّ قريشاً وعدُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكّة ، ويزوّجوه ما أراد من النساء ، ويطئوا عَقِبه ، فقالوا : هذا لك عندنا يا محمّد ، وكُفّ عن شتم آلهتنا فلا تذكرها بسوء ؛ فإن لم تفعلَ فإنا نَعْرِضُ عليك خَصْلة واحدةً فهى لك ولنا فيها صلاح . قال : ما هى ؟ قالوا : تعبُد آلهتنا سنةً ؛ اللات والعُزّى ، ونعبد إلهك سنة ، قال : حتى أنظرَ ما يأتى من عند ربى ! فجاء الوحى من اللوح المحفوظ : ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ السورة ، وأنزل الله عز وجل : ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ إلى قوله : ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[1] .

حدّثنى يعقوبُ بن إبراهيم ، قال : حدّثنا ابن عُلَيّةَ ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى سعيد بن ميناء ، مولى أبى البختريّ ، قال : لَقِيَ الوليدُ بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خَلَف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، هلمّ فلْنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، ونشرَكك فى أمرنا كلّه ؛ فإن كان الذى جئت به خيراً مما فى أيدينا ، كنّا قد شَرَكناك فيه ، وأخذنا بحظّنا منه ؛ وإن كان الذى بأيدينا خيراً مما فى يدك ، كنت قد شَرَكتنا فى أمرنا ، وأخذت بحظّك منه . فأنزل
١١٩٢/١ الله عزّ وجلّ : ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ؛ حتى انقضت السورة[2] .

فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على صلاح قومه ، محبّاً مقاربتَهم بما وجد إليه السبيل ، قد ذُكِر أنه تمنّى السبيل إلى مقاربتهم ، فكان من أمره فى ذلك ما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال :

---

(١) سورة الزمر ٦٤ — ٦٦ ، والخبر فى التفسير ٢٠ : ٢١٤ (بولاق) .
(٢) الخبر فى التفسير ٣٠ : ٢١٤ (بولاق) .

حدّثني محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن زياد المدنيّ[١] ، عن محمد بن كعب القُرَظيّ ، قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تَوَلِّيَ قومه عنه ، وشقّ عليه ما يرَى من مباعدتهم ما جاءهم به من الله ، تمنّى في نفسه أن يأتيَه من الله ما يقارب[٢] بينه وبين قومه ، وكان يسرّه مع حبّه قومَه ، وحرصه عليهم أن يلين له بعض ما قد غلظ عليه من أمرهم ؛ حتى حدّث بذلك نفسَه ، وتمنّاه وأحبّه ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ ، فلما انتهى إلى قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾[٣] ، ألقى الشيطان على لسانه ، لما كان يحدّث به نفسه ، ويتمنّى أن يأتيَ به قومه : « تلك الغرانيق العلا ، وإن شفاعتهن لتُرتجى » ؛ فلما سمعتْ ذلك قريش فرحوا ، وسرّهم وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم ، فأصاخوا له — والمؤمنون مصدّقون نبيَّهم فيما جاءهم به عن ربّهم ، ولا يتّهمونه على خطإ ولاوهم ولا زلل — فلما انتهى إلى السجدة منها وختم السورة سجدَ فيها ، فسجد المسلمون بسجود نَبيّهم ، تصديقاً لما جاء به ، واتّباعاً لأمره ، وسجد مَنْ في المسجد من المشركين من قريش
١١٩٣/١ وغيرهم ، لما سمعوا من ذكر آلهتهم ، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد ، إلاّ الوليد بن المغيرة ، فإنه كان شيخاً كبيراً ، فلم يستطع السجود ، فأخذ بيده حَفنة من البطحاء فسجد عليها ، ثم تفرّق الناس من المسجد ، وخرجت قريش ، وقد سرّهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ، يقولون : قد ذكر محمد آلهتنا بأحسنِ[٤] الذكر ، قد زعم فيما يتلُو : «أنها الغرانيقُ العُلا ، وأنّ شَفَاعتَهنّ تُرتضى » وبلغت السجدة مَن بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقيل : أسلمت قريش ، فنهض منهم رجال ، وتخلّف آخرون ، وأتى جبريلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، ماذا

(١) ر : « المرى » .
(٢) ر : « يقرب » .
(٣) سورة النجم ١ — ٢٠
(٤) ر : « فأحسن » .

صنعتَ ! لقد تلوتَ على الناس ما لم آتِكَ به عن الله عزّ وجلّ ، وقلت مالم يقل لك ! فحزن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك حُزْناً شديداً ، وخاف من الله خوفاً كثيراً[1] ، فأنزل الله عزّ وجلّ — وكان به رحيماً — يعزّيه ويخفّض عليه الأمر ، ويخبره أنه لم يكُ قبله نبيّ ولا رسول تمنّى كما تمنّى ، ولا أحبّ كما أحبّ إلاّ والشيطان قد ألقى فى أمْنيّته ، كما ألقى على لسانه صلى الله عليه وسلم ، فنسخ[2] الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ؛ أى فإنما أنت كبعض الأنبياء والرّسل ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[3] ، فأذهب الله عزّ وجلّ عن نبيّه الحزن ، وآمنه من الذى كان يخاف ، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم : « أنها الغرانيقُ العلا وأنّ شفاعتهن ١١٩٤/١
ترتضى » ، بقول الله عزّ وجلّ حين ذكر اللاّت والعزّى ومناة الثالثة الأخرى : ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ أى عوجاء ، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ — إلى قوله — ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[4] ، أى فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده !

فلمّا جاء من الله ما نسخ[5] ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيّه[5] ، قالت قريش : ندِم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتكم عند الله ، فغيّر ذلك وجاء بغيره ؛ وكان ذانكَ الحرفان اللّذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا فى فم كلّ مشرك ، فازدادوا شرّاً إلى ما كانوا عليه[6] ، وشدّة على مَنْ أسلم واتّبع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم منهم ،

---

(١) ح والتفسير : « كبيراً » .
(٢) م : « فينسخ » .
(٣) سورة الحج ٥٢ .
(٤) سورة النجم ٢١ — ٢٦
(٥ — ٥) ح : « ما كان الشيطان ألقى على نبيه » .
(٦) الخبر إلى هنا فى التفسير ١٧ : ١٣١ ، ١٣٢ (بولاق) .

وأقبل أولئك النّفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا[١] من أرض الحبشة لـمّا بلغهم من إسلام أهل مكّة حين سجدُوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى إذا دنوْا من مكّة ، بلَغهم أنّ الذى كانوا تحدّثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار ، أو مستخفيًا ، فكان ممّنْ قَدِم مكة منهم فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ، فشهد معه بدرًا من بنى عبد شمس بن عبد مناف بن قصى ، عثمان بن عفان ابن أبى العاص بن أمية ، معه امرأته رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة بنت سهيل ، ١١٩٥/١ وجماعة أُخَر معهم ، عددهم ثلاثة وثلاثون رجلا .

حدّثنى القاسم بن الحسن ، قال : حدّثنا الحسين بن داود ، قال : حدّثنى حجّاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب القرظىّ ومحمد بن قيس ، قالا : جلَس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ناد من أنديةِ قريش ، كثير أهله ، فتمنّى يومئذ ألاّ يأتيَه من الله شىء فينفرُوا عنه ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ ، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا بلغ : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ۝ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ ألقىَ الشيطان عليه كلمتين : « تلك الغرانيق[٢] العلا ۝ وإن شفاعتهن لترجى[٣] » ، فتكلّم بهما ، ثم مضى فقرأ السورة كلّها ، فسجد فى آخر السّورة ، وسجد القوم معه جميعًا ، ورفع الوليدُ بن المغيرة ترابًا إلى جبهته ، فسجد عليه – وكان شيخًا كبيرًا لا يقدر على السّجود – فرضُوا بما تكلّم به ، وقالوا : قد عرفنا أنّ الله يحيى ويميت ؛ وهو الذى يخلُق ويرزق ؛ ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ؛ فإذا جعلت لها نصيبًا فنحن معك . قالا : فلما أمسَى

---

(١) م : « خرجوا إليه » .

(٢) ح : « الغرانقة » .

(٣) ر : « ترتضى » .

أتاه جبرئيل عليه السّلام ، فعرض عليه السورة ، فلما بلغَ الكلمتين اللتيْن ألقى الشيطان عليه ، قال : ما جئتُك بهاتين ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افتريتُ على الله ، وقلتُ على الله ما لم يقل ، فأوحى الله إليه : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾[1] ، فما زالَ مغموماً مهموماً ، حتى
نزلت : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ — إلى قوله : ١١٩٦/١
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2] .

قال : فسمع مَنْ كان بأرض الحبَشة من المهاجرين أنّ أهلَ مكّة قد أسلمُوا كلّهم ، فرجعوا إلى عشائرهم ، وقالوا : هم أحبُّ إلينا ، فوجدوا القوم قد ارتكسُوا حينَ نسخ الله ما ألقَى الشيطان ، ثم قام — فيما حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، فى نقضِ الصحيفة التى كانت قريش كتبت بينها على بنى هاشم وبنى المطّلب — نفرٌ من قريش . وكان أحسنُهم بلاءً فيه هشام بن عمرو بن الحارث العامرىّ ، من عامر بن لؤىّ — وكان ابنَ أخى نضْلة بن هاشم بن عبد مناف لأمّه — وإنه مشىَ إلى زُهَير ابنَ أبى أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وكانت أمّه عاتكة بنت عبد المطلب — فقال : يا زهير ، أرضيتَ أن تأكلَ الطعام ، وتلبس الثياب ، وتنكِح النساء ، وأخوالُك حيث قد علمت ؛ لا يبايعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكِحون ولا ينكَح إليهم ! أما إنّى أحلِفُ بالله لو كانوا أخوال أبى الحكَم ابن هشام ثم دعوتَه إلى مثل مادعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً . قال : ويحك يا هشام ! فماذا أصنع ! إنّما أنا رجلٌ واحد ؛ والله لو كان معى رجلٌ آخر لقمت فى نقضها حتى أنقضها . قال : قد وجدتَ رجلاً ، قال : مَنْ
هو ؟ قال : أنا ، قال له زهير : ابغِنَا ثالثاً ، فذهب إلى المُطعِم بن عدىّ ١١٩٧/١
ابن نوفل بن عبد مناف ، فقال له : يا مطعِم ، أقَدْ رَضيت أن يهلِك بطْنان

---

(١) سورة الإسراء ٧٣ — ٧٥ .
(٢) سورة الحج ٥٢ ، والخبر فى التفسير ١٧ : ١٣١ (بولاق) .

من بنى عبد مناف ، وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ! أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنّهم إليها منكم سراعاً[1] . قال: ويحك! فماذا أصنع! إنّما أنا رجلٌ واحد، قال : قد وجدت ثانيًا ، قال : مَنْ هو؟ قال : أنا، قال : ابغنا ثالثًا[2] ، قال : قد فعلت ، قال مَنْ هو ؟ قال : زهير بن أبى أميّة ، قال : ابغِنا رابعاً ، فذهب إلى أبى البخترىّ بن هشام، فقال له نحواً مما قال للمطعِم بن عدىّ ، فقال : وهل من أحد يُعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : مَنْ هو ؟ قال : زهير بن أبى أمية والمطعِم بن عدىّ وأنا معك . قال : ابغِنا خامسًا ، فذهب إلى زَمْعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد ، فكلّمه ، وذكر له قرابتَهم وحقّهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟ قال: نعم، ثم سمّى له القوم.فاتّعدوا له خَطْمَ الحَجونِ الذى[3] بأعلى مكّة، فاجتمعوا هنالك، وأجمعوا أمرَهم، وتعاهدوا على القيام فى الصّحيفة حتى ينقضُوها ، وقال زهير : أنا أبدؤكم فأكون أوّلكم يتكلّم ، فلما أصبحوا غدوْا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبى أميّة ، عليه حلّة له ؛ فطاف بالبيت سبعًا ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهلَ مكّة ؛ أنأكل الطّعام، ونشرب الشّراب ، ونلبس الثّياب ، وبنو هاشم هَلْكى لا يبايعون
١١٩٨/١ ولا يبتاع منهم ! والله لا أقعد حتى تشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظّالمة ، قال أبو جهل – وكان فى ناحية المسجد : كذبتَ ، والله لا تشقّ ! قال زمعة ابن الأسود : أنتَ والله أكذبُ ، ما رضينا كتابها حين كتبت ؛ قال أبو البخترىّ: صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نُقِرُّ به ! قال المطعِم بن عدىّ : صدَقْتما وكَذَبَ مَنْ قال غير ذلك ؛ نبرأ إلى الله منها ، ومما كُتِب فيها ؛ وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك ، قال أبو جهل : هذا أمرٌ قُضى بليلٍ ، وتُشوورَ فيه بغيرِ هذا المكان – وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد – وقام المطعِم بن عدىّ إلى الصحيفة ليشقّها ؛ فوجد الأرَضَةَ قد أكلتْها ؛

(١) ط : « سريعاً » ، وما أثبته من ابن هشام .

(٢) قال فى اللسان : «ابغنى كذا ، بهمزة الوصل ، أى اطلب لى ، وأبغنى بهمزة القطع ، أى أعنى على الطلب » .

(٣) كذا فى ح وابن الأثير ، وفى ط : « التى » .

إلاّ ما كان من «باسمك اللهمّ» ، وهى فاتحة ما كانت تكتب قريش ؛ تفتتح بها كتابها إذا كتبت .

قال : وكان كاتب صحيفة قريش — فيما بلغنى — الّتى كتبُوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطه من بنى هاشم وبنى المطّلب، منصور بن عكرمة ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار بن قصىّ، فشَلّتْ يدُه[1] .

وأقام بقيّتهم بأرض الحبشة ؛ حتى بعثَ فيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشىّ عمرَو بن أميّة الضَّمْرىّ ، فحملهم فى سفينتين ، فقدِم بهم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو بخيبر بعد الحديبية . وكان جميع من قَدِم فى السفينتين ستةَ عَشَر رجلا .

* * *

ولم يزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مقيماً مع قُريش بمكّة يدعوهم إلى الله سرًّا وجهراً ، صابراً على أذاهم وتكذيبهم إياه واستهزائهم به ؛ حتى إن كان بعضهم — فيما ذكر — يطرح عليه رَحِم الشّاة وهو يصلّى ، ١١٩٩/١
ويطرحها فى بُرْمته إذا نُصبت له[2] ؛ حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم — فيما بلغنى — حجراً يستتر به منهم إذا صلّى .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى ابنُ إسحاق ، قال : حدّثنى عمر بن عبد الله بن عُرْوة بن الزُّبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : كانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخرج بذلك إذا رُمى به فى داره على العُود فيقف على بابه ، ثم يقول : يا بنى عبد مناف ، أىّ جوار هذا ! ثم يُلْقيه بالطريق .

ثم إن أبا طالب وخديجة هلكا فى عام واحد — وذلك فيما حدّثنا ابنُ حميد، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق — قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين ، فعظُمت المصيبة على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهما ؛ وذلك أن قريشًا

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٣١، ٢٣٢ .
(٢) ر : «به» .

وصلُوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلُونَ إليه فى حياته منه ؛ حتى نَثَر بعضُهم على رأسه التراب[١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثني هِشام بن عُروة ، عن أبيه قال : لما نثر ذلك السّفيه الترابَ على رأسِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتَه والتراب على رأسه ، فقامت[٢] إليه إحدى بناتِه تغسل عنه التراب ؛ وهى تبكى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : يا بُنَيّةَ لا تبكى ؛ فإنّ الله مانعٌ أباكِ ! قال : ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما نالتْ منّى قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب[١]

* * *

ولما هلك أبو طالب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطّائف يلتمس من ثقيف النّصر والمنَعة[٣] له من قومه ؛ وذُكِر أنّه خرج إليهم
١/١٢٠٠ وحده ؛ فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدثنا ابنُ إسحاق قال : حدّثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظىّ ، قال : لما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عَمَد إلى نفرٍ من ثَقيف — هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم ؛ وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود ابن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير ؛ وعندهم امرأة من قريش من بنى جُمَح ، فجلس إليهم — فدعاهم إلى الله وكلّمهم بما جاء لهم[٤] من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على مَنْ خالفه من قومه ، فقال أحدهم: هو يمرُط[٥] ثياب الكعبة إن كان الله أرسلَك ! وقال الآخر : ما وجد الله

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٨ .

(٢) فى الأصول : « قامت » ، وما أثبته من ابن هشام .

(٣) ر : « الفضل والمعونة » .

(٤) ح : « جاء إليه » .

(٥) يمرطها : أى ينزعها ويرمى بها .

أحداً يرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلّمك كلمةً أبداً ؛ لئن كنتَ رسولاً من الله كما تقول ، لأنتَ أعظمُ خطراً من أن أردّ عليك الكلامَ ؛ ولئن كنتَ تكذب على الله ما ينبغي لى أن أكلّمك !

فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عندهم ، وقد يئس من خيرِ ثقيف ؛ وقد قال لهم — فيما ذكر لى — : إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا علىّ . وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلُغَ قومه عنه ، فيُذئرهم[1] ذلك عليه ، فلم يفعلوا وأغروْا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبّونه ويصيحون به ؛ حتى اجتمع عليه الناس وألجئوه إلى حائط[2] لعتْبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثَقيفٍ مَنْ كان يتبعه ، فعمد إلى ظِلِّ حَبَلةٍ[3] من عنب ، فجلس
فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقىَ من سفهاء ثقيف . وقد لقىَ ١٢٠١/١
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذكر لى — تلك المرأة من بنى جُمح ، فقال لها : ماذا لقينا[4] من أحمائك ! فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال — فيما ذكر لى : اللهمّ إليك أشكو ضعف قوّتى ، وقلّة حيلتى ، وهوانى على النّاس ؛ يا أرحمَ الرّاحمين ، أنتَ ربُّ المستضعَفين ، وأنتَ ربّى ؛ إلى مَنْ تكلنى ! إلى بعيد يتجهّمنى ، أو إلى عدوّ ملّكْتَهُ أمرى ؛ إنْ لم يكن بك علىّ غضب فلا أبالى ! ولكنّ عافيتك هى أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظّلمات ، وصلَح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بى غضبُك ، أو يحلّ علىّ سخطُك ، لك العُتبى[5] حتى ترضَى ، لا حول ولا قوة إلاّ بك .

فلما رأى ابنا ربيعة : عُتْبة وشَيْبة ما لقى ، تحرّكت له رحِمهما ،

---

(١) قال ابن هشام : قوله : « يذئرهم » ؛ يعنى يحرش بينهم ، قال عبيد :

وَلَقَدْ أَتَانِى عَنْ تَمِيمٍ أَنَّهُمْ ذَئِرُوا لِقَتْلَى عَامِرٍ وتَعَصَّبُوا

(٢) الحائط هنا : البستان .

(٣) الحبلة : الكرمة من العنب .

(٤) ح : « لقيت » .

(٥) العتبى : الرضا .

فدعَوا له غلامًا لهما نصرانيًّا ؛ يقال له عدّاس ، فقالا له : خذ قِطفاً(١) من
هذا العنَب وضْعه فى ذلك الطَبَق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرّجل ، فقل له
يأكل منه ؛ ففعل عدّاس ، ثم أقبل به حتّى وضعه بين يدىْ رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، قال : «بسم الله» ،
ثم أكل ، فنظَر عدّاس إلى وجهه ، ثم قال : والله إنّ هذا الكلام ما يقوله
أهلُ هذه البلدة ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومِن أهل أىّ البلاد
أنت يا عدّاس ؟ وما دينك ؟ قال : أنا نصرانىّ ، وأنا رجلٌ من أهل نينَوى(٢)
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمِنْ قرية الرّجل الصّالح يونس بن ١٢٠٢/١
متى ؟ قال له : وما يدريك ما يونس بن متّى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : ذاك أخِى ، كان نبيًّا وأنا نبىّ ، فأكبّ(٣) عدّاس علَى(٤) رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقبّل رأسَه ويديه ورجليه ، قال : يقول ابنا ربيعة أحدُهما
لصاحبه(٥) : أمّا غلامك فقد أفسدَه عليك . فلما جاءهما عدّاس قالا له :
ويلك يا عدّاس ! مالك تقبّل رأسَ هذا الرّجل ويديه وقدميه ! قال : ياسيّدى
ما فى [هذه](٦) الأرض خيرٌ من هذا الرجل ! لقد خبّرنى بأمر لا يعلمه(٧) إلاّ
نبىٌّ ، فقالا : ويحك يا عدّاس ! لا يصرفنّك عن دينك ، فإنّ دينَك خيرٌ
من دينه .

ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطّائف راجعًا إلى مكّة حين يئس من خبرِ ثقيف ، حتى إذا كان بنخلة ، قام من جوْف الليل يصلّى ، فمرّ به نفرٌ من الجنّ الذين ذكر الله عزّ وجلّ .

قال محمّد بن إسحاق : وهم — فيما ذكر لى — سبعة نفر من جنّ أهل

---

(١) القطف : اسم للعنقود ، وأصله اسم لكل ما يقطف .
(٢) نينوى : قال أبو ذر الخشنى : « ورويت ها هنا بضم النون الثانية وبفتحها » .
(٣) ر : « فانكبّ » .
(٤) م : « على رأس » .
(٥) ح : « للآخر » .
(٦) من م .
(٧) م : « بما لا يعلمه » .

نَصيبين اليمن ، فاستمعوا له ، فلما فرغ من صلاته ولّوْا إلى قومهم مُنْذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا ، فقصّ الله عزّ وجلّ خبرَهم عليه : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ — إلى قوله : ﴿ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(١) . وقال : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ . . . ﴾ إلى آخر القصّة من خبرهم فى هذه السورة(٢) .

قال محمّد: وتسمية النّفر من الجنّ الذين استمعوا(٣) الوحى — فيما بلغنى — حسّا ، ومسّا ، وشاصر ، وناصر ، واينا الأرد ، وأينين ، والأحقم . ١٢٠٣/١

* * *

قال : ثم قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكّة ، وقومُه أشدّ ما كانوا عليه من خِلافه وفراق دينه ، إلاّ قليلا مستضعفين ممّن آمن به .

وذكر بعضُهم أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطّائف مريداً مكة مرّ به بعضُ أهلِ مكّة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنت مبلّغ عنّى رسالة أرسلك بها ؟ قال : نعم ، قال : ائت الأخْنَس ابن شَرِيق ، فقل له : يقول لك محمّد : هل أنت مجيرى حتى أبلّغَ رسالة ربّى ؟ قال: فأتاه ، فقال له ذلك ، فقال الأخْنَسُ : إنّ الحليف لا يُجير على الصريح . قال: فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فأخبره، قال: تعود ؟ قال : نعم ، قال : ائت سُهَيْلَ بن عمرو ، فقل له: إنّ محمّداً يقول لك : هل أنت مجيرى حتى أبلّغ رسالات ربّى ؟ . فأتاه فقال له ذلك ، قال: فقال : إنّ بنى عامر بن لؤىّ لا تجير على بنى كعب . قال : فرجع إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، قال : تعود ؟ قال : نعم ، قال : ائت المطعم بن عدىّ ، فقل له : إنّ محمداً يقول لك: هل أنت مجيرى حتى أبلّغ رسالات ربى(٤) ؟ قال : نعم ، فليدخل ، قال : فرجع الرّجل إليه ، فأخبره، وأصبح المطعم

---

(١) سورة الأحقاف ٢٩ — ٣٠ .

(٢) سورة الجن ، والخبر فى ابن هشام ١ : ٢٦٠ — ٢٦٣ .

(٣) م : « سمعوا » .

(٤) ح : « على أن أبلغ » .

ابن عدىّ قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه ، فدخلوا المسجد، فلمّا رآه أبو جهل ، قال : أمُجيرٌ أم متابع ؟ قال : بل مجير ، قال : فقال : قد أجرْنا مَنْ أجرتَ ، فدخل النبىّ صلى الله عليه وسلم مكة ؛ وأقام بها ، فدخل يوماً المسجد الحرام والمشركون عند الكعبة ، فلما رآه أبو جهل ، قال : هذا
١٢٠٤/١ نبيّكم يا بنى عبد مناف ، قال عتبة بن ربيعة : وما تنكِرُ أن يكونَ منّا نبىّ أو ملِك ! فأخبِر بذلك النبىّ صلى الله عليه وسلم — أو سمعه — فأتاهم ، فقالْ : أمّا أنتَ يا عُتْبة بن ربيعة فوالله ما حميتَ لله ولا لرسوله ؛ ولكنْ حميتَ لأنفِك ، وأما أنتَ يا أبا جهل بن هشام ؛ فوالله لا يأتى عليك غير كبير[١] من الدّهر حتى تضحك قليلا وتبكى كثيراً . وأمّا أنتم يا معشر الملإ من قريش ؛ فوالله لا يأتى عليكم غير كبير[٢] من الدّهر حتى تدخلوا فيما تنكرون ، وأنتم كارهون .

* * *

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعرضُ نفسَه فى المواسم — إذا كانت — على قبائل العرب ، يدعوهم إلى الله [وإلى نصرته][٣] ويخبرهم أنه نبىّ مرسل ، ويسألهم أن يصدّقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به. حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى حسين بن عبيد الله بن عبد الله بن عباس ، قال : سمعت ربيعة بن عبّاد يُحدّثُ أبى ، قال : إنى لغلامٌ شابٌّ مع أبى بمنًى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يا بنى فلان ، إنّى رسولُ الله إليكم ؛ يأمرُكم أنْ تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأنْ تخلعوا ما تَعْبدون[٤] من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى

(١) ر : « كثير » .
(٢) ح : « كثير » .
(٣) من ر .
(٤) م : « ما يعبد » .

وتصدّقونى وتمنعونى ؛ حتى أبين عن الله ما بعثنى به .

قال : وخلفه رجلٌ أحوَل وضيء ، له غديرتان[١] ، عليه حُلّة عَدنيّة ، فإذا فرَغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ، وما دعا إليه ، قال الرجل : يا بنِى فلان ، إنّ هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلُخُوا اللات والعُزّى من أعناقكم ، ١٢٠٥/١
وحلفاءكم من الجنّ من بنى مالك بن أقَيْش ، إلى ما جاء به من البدْعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا له .

قال : فقلت لأبى : يا أبتِ مَن هذا الرجل الذى يتبعه ؛ يردّ عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمّه عبد العُزّى أبو لهب بن عبد المطّلب[٢] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : وحدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا محمد بن مسلِم بن شهاب الزهرىّ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أتى كِنْدة فى منازلهم ، وفيهم سيّد لهم ، يقال له مُلَيح ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرَض عليهم نفسَه ، فأبوْا عليه[٢] .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى محمّد بن عبد الرّحمن بن عبد الله بن حُصَيْن ، أنّه أتى كلْبًا فى منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرَض عليهم نفسَه ؛ حتى إنّه ليَقول لهم : يا بنى عبد الله ، إن الله قد أحسن اسم أبيكم . فلم يقبَلوا منه ما عرَض عليهم[٣] .

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : محمّد بن إسحاق : حدّثنى بعضُ أصحابنا ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى حَنيفة فى منازلهم ، فدعاهم إلى الله ، وعرَض

---

(١) الغديرة : الذؤابة من الشعر .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣

(٣) سيرة ابن شام ٢ : ٢٦٤

عليهم نفسَه ؛ فلم يكن أحدٌ من العرب أقبحَ ردًّا عليه منهم[١]

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرىّ ، أنه أتى بنى عامر بن صعصعة ، فدعاهم إلى الله ، وعَرَض عليهم نفسَه ، فقال رجل منهم ، يقال له بَيْحَرَةَ بن فراس[٢] : والله لو أنّى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلتُ به العرب . ثم قال له : أرأيتَ إن نحن تابعناك[٣] على أمرك[٤] ، ثم أظهرَك الله على مَنْ خالفك ؛ أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال : الأمرُ إلى الله يضعهُ حيث يشاء . قال : فقال له : أفتُهدَفُ[٥] نحورُنا للعرب دونك ، فإذا ظهرتَ كان الأمرُ لغيرنا! لا حاجةَ لنا بأمرك . فأبَوْا عليه، فلما صَدَرَ النّاس ، رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم ؛ قد كانت أدركتْه السنّ ؛ حتى لا يقدر على أن يوافىَ معهم الموسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه ، حدّثوه[٦] بما يكون فى ذلك الموسم ؛ فلمّا قدِمُوا عليه ذلك العام ، سألهم عمّا كان فى موسمهم ، فقالوا : جاءنا فتًى من قريش ، ثم أحد بنى عبد المطّلب ؛ يزعم أنه نبىّ ، ويدعو[٧] إلى أن نمنعه[٨] ونقوم معه ؛ ونخرج به معنا إلى بلادنا . قال : فوضع الشيخُ يده على رأسه ، ثم قال : يا بنى عامر ، هل لها من تلاف ! هل لذناباها[٩] من مطلب ! والذى نفسُ فلان بيده ما تقوّلها إسماعيلى[١٠] قطّ ! وإنّها لحقّ ، فأين كان رأيكم عنه !

١٢٠٦/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤

(٢) فى ابن هشام : « فراس بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة » .

(٣) ابن هشام : « بايعناك على أمرك » .

(٤) ح : « تابعناك وآمنا بك » .

(٥) كذا فى ابن هشام ؛ أى تصير هدفاً يرمى ، وفى ط : « أفنهدف » .

(٦) ح : « يحدثونه » .

(٧) ر ، وابن هشام : « يدعونا » .

(٨) ح : « ويدعو الله ويريد أن نمنعه » .

(٩) مثل يضرب لما فات ؛ وأصله من ذنابى الطائر ؛ إذ أفلت من الحبالة .

(١٠) أى ما ادعى النبوة .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره ؛ كلّما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعُو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، ويعرِض عليهم نفسَه
وما جاء به من الله من الهدى والرّحمة ، لا يسمع بقادم يقدَم من العرب ؛ ١٢٠٧/١
له اسمٌ وشرفٌ إلاّ تصدّى له فدعاه إلى الله ، وعرَض عليه ما عنده[1] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة الظّفَرِيّ ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : قدِم سُوَيد بن صامت — أخو[2] بني عمرو بن عوف — مكة حاجًّا أو معتمراً ، قال : وكان سُوَيد إنما يسميه قومه فيهم الكامل ، لجلَدِه وشِعْره ، ونسبه وشرفه ؛ وهو الذّي يقول :

ألا رُبَّ مَنْ تَدْعُوصَدِيقاً ولَوْ تَرَى ... مَقَالَتَهُ بالْغَيْبِ ساءَكَ ما يَفْرِى[3]
مَقَالَتُهُ كالشَّحْمِ ما كان شاهدًا ... وبالغَيْبِ مأْثورٌ على ثغرَةِ النَّحْرِ[4]
يَسُرُّك باديهِ وتحْتَ أديمِهِ ... نَميمَةُ غِشٍّ تَبْتَرِى عَقَبَ الظَّهرِ[5]
تُبينُ لكَ العَيْنانِ ما هُوَ كاتِمٌ ... ولا جِنَّ بالْبَغضَاءِ والنَّظَرِ الشَّزْرِ
فَرِشْنِي بخَيرٍ طالما قَدْ بَرَيْتَنِي ... وخَيْرُ المَوالي مَنْ يَرِيشُ ولا يَبْرى[6] ١٢٠٨/١

مع أشعار له كثيرة يقولها[7] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٢) ر : « أحد » .

(٣) يفرى : يخلق من القول .

(٤) المأثور هنا : السيف الموشى .

(٥) تبترى : تقطع ، وعقب الظهر : عصبه .

(٦) راشه : قواه ، وبراه : أضعفه .

(٧) ذكر منها ابن هشام :

لاتَحْسَبَنِّى يابْنَ زُغْبِ بنِ مَالكٍ ... كَمَنْ كُنْتَ تُرْدِى بالغُيوب وتَخْتِلُ
تحوّلْتَ قَرْنًا إذْ صُرِعْتَ بِعزّةٍ ... كَذٰلِكَ إنّ الحازِمَ المُتحوّلُ

قال : فتصدَّى له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام . قال : فقال له سُويدٌ : فلعلَّ الذى معك مثلُ الذى معى ! فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال : مجلّة[1] لقمان — يعنى حكمة لقمان — فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها علىّ ، فعرضها عليه ، فقال : إنّ هذا لكلام[2] حَسَنٌ ، معى أفضلُ من هذا ؛ قرآن أنزله الله علىّ ، هدى ونورٌ . قال : فتلا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعُد منه ، وقال : إنّ هذا لقولٌ حَسَنٌ .

ثم انصرف عنه ، وقدِم المدينة ، فلم يلبَثْ أن قتَلَتْه الخزرج ؛ فإنْ كان قومه ليَقولونَ : قد قُتِل وهو مُسْلِمٌ ، وكان قتلُه قبل بُعاث[3] .

* * *

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى الُحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ ؛ أخو بنى عبد الأشهل ، عن محمود بن لَبيد ؛ أخى بنى الأشهل ، قال : لمّا قدم أبو الحَيْسَر أنسُ بن رافع مكّة ، ومعه فتيةٌ من بنى عبد الأشهل ، فيهم إياس بن مُعاذ ؛ يلتمسون الحلْف من قُرَيْش على قومهم من الخزْرج ، سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم إلى خيرٍ مما جئتم له ؟ قالوا : وما ذاك ؟ قال : أنا رسول الله ، بعثنى إلى العِباد ، أدعوهم إلى الله أن يعبدوا الله ، ولا يشركوا به شيئًا ، وأنزل علىّ الكتابَ .
١٢٠٩/١ ثم ذكر لهم[4] الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . فقال إياس بن مُعاذ — وكان

(١) المجلة : الصحيفة ؛ قال السهيلى : « ولقمان كان نبياً . من أهل أيلة ؛ وهو لقمان ابن عنقاء بن سرور — فيما ذكروا — وابنه الذى ذكر فى القرآن هو ثاران — فيما ذكر الزجاج وغيره . وقيل فى اسمه غير ذلك ؛ وليس بلقمان بن عاد الحميرى » .

(٢) م : « كلام » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٥ ، ٢٦٦

(٤) م : « ذكرهم » .

غلامًا حَدَثًا : أىْ قوم ؛ هذا والله خيرٌ مما جئتم[١] له . قال : فيأخذ أبو الحَيْسَر أنس بن رافع حَفْنَةً من البطْحاء ، فضربَ بها وجه إياس ابن معاذ ، وقال : دَعْنا منك ، فلَعمرِى لقد جئنا لغير هذا . قال : فصمت إياس ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا إلى المدينة . فكانت وقعة بُعَاث بين الأوس والخزرج .

قال: ثم لم يلبث إياس بن مُعاذ أن هلك . قال محمود بن لَبِيد : فأخبرنى مَنْ حضره من قومى عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يُهلّل الله ويكبّرُه ، ويحمده ويسبّحه ؛ حتى مات ، فما كانوا يشكُّون أن قد مات مسلمًا ، لقد كان استشعر الإسلام فى ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع[٢] .

* * *

قال : فلمّا أراد الله عزّ وجلّ إظهارَ دينِه وإعزاز نبيِّه ، وإنجازَ موعده له ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقِىَ فيه النفر من الأنصار ، فعرَضَ نفسَه على قبائل العرب ؛ كما كان يصنع فى كلّ موسم ؛ فبينا هو عند العَقَبة إذ لقِىَ رهطًا من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

قال ابن حُمَيد : قال سلمة : قال محمّد بن إسحاق : فحدّثنى عاصم ابن عمر بن قَتادة ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : لما لقيَهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : مَنْ أنتم ؟ قالوا : نفرٌ من الخزرج ، قال : أمِنْ موالى يهودَ : قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون حتى أكلّمكم ؟ قالوا : بلَى ، قال : فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرَضَ عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن .

١٢١٠/١ قال : وكان ممّا صَنع الله لهم به فى الإسلام ، أنّ يهودَ كانوا معهم

(١) ح : « جئنا » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

ببلادهم ، وكانوا أهلَ كتاب وعِلْم ، وكانوا أهلَ شرك ، أصحابَ أوثان ، وكانوا قد عزّوهم ببلادهم[١] ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبياً الآن مبعوثٌ قد أظلّ زمانه ، نتّبعه ونقتلكم معه قَتْلَ عاد وإرَم . فلما كلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النّفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضُهم لبعض : تعلّمُنّ والله إنّه للنبيّ الذى تُوعِدكم[٢] به يهود، فلا يَسْبُقُنّكم[٣] إليه. فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدّقوه ، وقبِلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا له : إنا قد تركْنا قوْمنا ، ولا قوم بينَهم من العداوة والشرّ ما بينهم ؛ وعسى الله أن يجمَعَهُم بك ، وسنقدَم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرضُ عليهم الذى أجبْناك إليه من هذا الدين ؛ فإنْ يجمعهم الله عليه ، فلا رجلَ أعزّ منك. ثم انصرفوا عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم ، وقد آمنوا وصدّقوا .

وهم — فيما ذُكِر لى — ستّة نفَر من الخزرج : منهم من بنى النّجار — وهم تَيْم الله — ثم من بنى مالك بن النّجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، أسعَدُ بن زرارة بن عُدَس بن عُبَيْد ابن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النّجار ؛ وهو أبو أمامة ؛ وعَوْف بن الحارث ابن رفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النّجار ؛ وهو ابن عفراء[٤]

١٢١١/١ ومن بنى زُرَيْق بن عامر بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم ابن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، رافع بن مالك بن العَجْلان ابن عمرو بن عامر بن زُرَيق[٥] .

ومن بنى سَلِمة بن سَعْد بن علىّ بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ؛ ثم من بنى سواد ،

---

(١) عزوهم : غلبوهم ، وفى ابن هشام : « غزوهم » .

(٢) ابن هشام : « توعّدكم » .

(٣) ابن هشام : « تسبقنكم » .

(٤) قال ابن هشام : «وعفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار».

(٥) قال ابن هشام : « يقال : عامر بن الأزرق » .

قُطْبَة بن عامر بن حَدِيدة بن عمرو بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سلِمة .

ومن بنى حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة ، عُقْبَة ابن عامر بن نابى بن زيد بن حرام .

ومن بنى عُبَيد بن عدىّ بن غَنْم بن كعب بن سلِمة ، جابرُ بنُ عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عُبيد[١] .

* * *

قال : فلما قَدِمُوا المدينة على قومهم ، ذكروا لهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ودعوْهم إلى الإسلام ؛ حتى فشا فيهم فلم تَبْقَ دارٌ من دُور الأنصار إلاّ وفيها ذكرٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى إذا كان العام المقبل ، وافى الموسمَ من الأنصار اثنا عَشَر رجلا ، فلقُوه بالعَقَبة ، وهى العَقَبة الأولى ، فبايعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على بَيْعه النساء ؛ وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب ؛ منهم من بنى النّجار أسعد بن زُرارة ١٢١٢/١ ابن عُدَس بن عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار ؛ وهو أبو أمامة ؛ وعَوْف ومُعاذ ابنا الحارث بن رفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك ابن النَّجار ؛ وهما ابنا عَفْراء .

ومن بنى زُرَيق بن عامر ، رافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر ابن زُرَيق ، وذكوان[٢] بن عبد قيس بن خلْدة بن مخلّد بن عامر بن زُرَيق .

ومن بنى عَوْف بن الخزْرج ، ثم من بنى غَنْم بن عوف — وهم القواقل —[٣] عبادة بن الصامت بن قيس بن أصْرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن عَوْف ابن الخزرج ، وأبو عبد الرحمن ؛ وهو يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة بن أصْرم ابن عمرو بن عَمّارة ، من بنى غُضَيْنةَ[٤] من بَلِيّ ، حليف لهم .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧

(٢) قال ابن هشام : « ذكر أنه مهاجرى أنصارى » .

(٣) قال ابن هشام : « وإنما قيل لهم القواقل ؛ لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهماً ، وقالوا له : قوقل بيثرب حيث شئت » .

(٤) فى ابن هشام : « غصينة » .

ومن بنى سالم بن عوْف بن عمرو بن عوف بن الخزرج عبّاس بن عُبادة ابن نَضْلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غَنْم بن سالم بن عوْف .

ومن بنى سَلِمة ، ثم من بنى حرَام ، عُقْبة بن عامر بن نابى بن
١٢١٣/١ زيد بن حرَام بن كعب بن غَنْم بن كَعْب بن سلِمة .

ومن بنى سَواد ، قُطْبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سلِمة .

وشهدها من الأوْس بنُ حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بنى الأشْهل : أبو الهيثم بن التَّيِّهان[١] ؛ اسمه مالك ، حليف لهم .

ومن بنى عمرو بن عوف ، عُوَيم بن ساعدة بن صَلْعجة[٢] ، حليف لهم.[٣]

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال: حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن مَرْثَد بن عبد الله اليَزَنىّ ، عن أبى عبد الرحمن بن عُسَيلة الصُّنابحىّ ، عن عُبادة بن الصّامت ، قال : كنت فيمَنْ حضرَ العقَبة الأولَى ؛ وكُنّا اثنى عشر رجلا ، فبايعنْا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيْعة النساء ؛ وذلك قبل أن تُفْترَض الحرب ؛ على ألاّ نشرك بالله شيئًا ، ولا نسرِق ولا نزنِىَ ، ولا نقتلَ أولادنا ، ولا نأتِىَ ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيَه فى معروف ؛ فإنْ وَفيْتُم فلكم الجنّة ، وإن غشِيتم شيئًا من ذلك فأخذتم بحدّه فى الدنيا ؛ فهو كفارة[٤] له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة ؛ فأمْركم إلى الله ؛ إن شاء عذّبكم ، وإن شاء غفر لكم[٥] .

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ؛ أنّ ابن شهاب ذكر عن عائذ الله بن عبد الله أبى إدريس الخولانى ، عن عُبادة بن

---

(١) قال ابن هشام : « التيهان يخفف ويثقل » .
(٢) ح : « صعلجة » .
(٣) ابن هشام ١ : ٢٦٧
(٤) م : « الكفارة » .
(٥) ح : « عفا عنكم » . والخبر فى ابن هشام ١ : ٢٦٨

الصامت ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم مثله .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
فلمّا انصرف عنه القومُ بعث معهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُصعب بن ١/١٢١٤
عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار بن قُصَيّ ، وأمره أن يقرِئَهم القرآن ، ويعلّمهم الإسلام ، ويفقّههم فى الدّين ؛ فكان يسمّى مُصعب بالمدينة : المقرئ ، وكان مَنْزَلُه[1] على أسعد بن زرارة بن عُدس أبى أمامة[2] .

* * *

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى عبيد الله بن المغيرة بن مُعَيْقِيب ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمّد ابن عمرو بن حزم ، أنّ أسْعدَ بن زرارة خرج بمُصْعَب بن عمير ؛ يريد به دارَ بنى عبْد الأشهل ، ودار بنى ظَفَر ؛ وكان سعد بن مُعاذ بن النّعمان ابن امرئ القيس ، ابن خالة أسعد بن زرارة ، فدخل به حائطاً من حوائط بنى ظَفَر[3] ، على بئر يقال لها بئر مَرْق ؛ فجلسا فى الحائط ، واجتمع إليهما رجالٌ ممّن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسَيْد بن حُضَير يومئذ سيّدا قومهما من بنى عبد الأشْهل ؛ وكلاهما مُشرِك على دين قومه ، فلمّا سمعا به ، قال سعد ابن مُعاذ لأسَيْد بن حُضَير : لا أبا لك ! انطلق إلى هذيْن الرجلين اللذيْن قد أتيا دارنا[4] ، ليسفّها ضعفاءنا ، فازجرهما وانههما أن يأتيَا دارنا[4] ، فإنه لولا أنّ أسعد بن زرارة منّى حيث قد علمت ، كفيتُكَ ذلك ؛ هو ابن خالتى ، ولا أجد عليه مقدَماً . فأخذ أسَيْد بن حُضير حَرْبَتَه . ثم أقبل إليهما ؛

---

(١) قال السهيلى : « منزل ، بفتح الزاى ، وكذلك كل ما وقع فى هذا الباب ، من منزل فلان على فلان . فهو بالفتح ؛ لأنه أراد المصدر ؛ ولم يرد المكان ؛ وكذلك قيده الشيخ أبو بحر ، بفتح الزاى » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٩

(٣) قال ابن هشام : «واسم ظفر كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس»

(٤) ابن هشام : « دارينا » .

فلما رآه أسْعَد بن زُرارة قال لمُصْعَب : هذا سيِّد قومه قدجاءك، فاصدق الله فيه . قال مُصعَب : إنْ يجلسْ أكلّمه ، قال : فوقف عليهما مُتَشَتِّماً،
١/١٢١٥ فقال: ما جاء بكما إلينا، تسفّهان ضعفاءنا ! اعتزلانا[1] إن كانت لكما فى أنفسكما حاجة . فقال له مُصعب : أوَ تجلسُ فتسمع ، فإن رضيتَ أمراً قبلتَه ، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت ؛ ثم ركز حربته، وجلس إليهما ، فكلّمه مُصعَب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يذكر عنهما : والله لَعَرَفْنا فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم، فى إشراقه وتسهّله . ثم قال : ما أحسنَ هذا وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدّين ؟ قالا له: تغتسل ، فتطهّر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحقّ، ثم تصلّى ركعتين .

قال : فقام فاغتسلَ ، وطهّر ثوبيْه، وشهد شهادة الحقّ ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إنّ ورائى رجلاً؛ إن اتّبعكما لم يتخلّف عنه أحدٌ من قومه ؛ وسأرسله إليكما الآن ؛ سعد بن معاذ . ثم أخذ حربتَه ، وانصرف إلى سعد وقومه؛ وهم جلُوس فى ناديهم ؛ فلمّا نظر إليه سعد بن مُعاذ مقبلا ، قال : أحلفُ بالله ، لقد جاءكم أسَيْد بن حُضَير بغيرْ الوجه الذى ذهب به من عندكم ؛ فلمّا وقف على النّادى ، قال له سعد: ما فعلت ؟ قال : كلّمت الرجليْن، فوالله ما رأيت بهما بأسًا ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت، وقد حُدّثت أن بنى حارثة ، قد خرجوا إلى أسْعَد بن زُرارة ليقتلوه ؛ وذلك أنهم عرفوا أنه ابنُ خالتك ليُخْفِروك[2] ، قال : فقام سعد مُغْضَبًا مبادرًا تخوّفًا للذى ذكر له من بنى حارثة . فأخذ الحرْبةَ من يده ، ثم قال : والله ما أراك أغنيْت شيئًا ؛ ثم خرج إليهما؛ فلمّا رآهما سعد مطمئنّين ،
١/١٢١٦ عرف أنّ أسَيْداً إنما أراد أن يسمَع منهما ، فوقف عليهما متشتّما، ثم قال لأسعد بن زرارة : يا أبا أمامة ، لولا ما بينى وبينَك من القرابة ما رمْتَ هذا

---

(١) ح : « اعتزلا » .
(٢) الإخفار : نقض العهد .

مِنّي . تغشانا[1] فى دارنا بما نكره ! وقد قال أسعد لمُصعب : أى مُصعب ! جاءك والله سيِّد مَن وراءه منْ قومه ، إن يتبعك لم يخالف عليك منهم اثنان ، فقال له مصعب : أوَ تقعد فتسمع ، فإن رضيتَ أمراً ورغبت فيه قبلته ، وإنْ كرهتَه عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت ؛ ثم ركز الحربة ، فجلس فعرَض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن . قالا : فعرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم به ؛ فى إشراقه وتسهّله .

ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتمْ أسلمتم ودخلتم فى هذا الدّين ؟ قالا : تغتسِل فتطهّر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحقّ ، ثم تصلِّى ركعتين . قال : فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه ، وشهِد شهادة الحقّ ، وركع ركعتيْن ، ثم أخذ حربته فأقبل عامِداً إلى نادى قومه ، ومعه أسَيد بن حُضير ؛ فلمّا رآه قومه مقبلاً ، قالوا: نحلف بالله لقد رجع سَعْد إليكم بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ؛ فلمّا وقف عليهم ، قال : يا بنى عبد الأشهل ؛ كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيّدنا وأفضلنا رأيًا ، وأيمنُنا نقيبةً ، قال : فإنّ كلامَ رجالِكم ونسائكم علىّ حرامٌ حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : فوالله ما أمسى فى دار عَبْدِ الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلمًا أو مسلمة .

ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعُو النّاس إلى الإسلام حتى لم تبقَ دار من دُور الأنصار إلاّ وفيها رجال ونساء مسلمون ١٢١٧/١
إلاّ ما كان من دار بنى أميّة بن زيد وخَطْمَة ووائل وواقف ؛ وتلك أوس الله ؛ وهم من أوْس بن حارثة ؛ وذلك أنه كان فيهم أبو قيْس بن الأسْلَت ؛ وهو صَيْفىّ ، وكان شاعراً لهم ، وقائداً يسمعون منه ، ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام ؛ فلم يزل على ذلك[2] حتى هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ؛ ومضى بَدْر وأحُد والخندق .

---

(١) ح : « تغشانى » .

(٢) ح : « كذلك » .

قال : ثم إنّ مُصعب بن عُمير ، رجع إلى مكّة وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموْسِم مع حُجَّاج قومهم من أهلِ الشرك ؛ حتى قدموا مكّة ؛ فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقَبة من أوسط أيام التّشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامتِه ، والنّصر لنبيه صلى الله عليه وسلم وإعزاز الإسلام وأهله[١] ، وإذلال الشرْك وأهله[٢] .

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني مَعْبَد بن كعب بن مالك بن أبى كعب بن القيْن ، أخوبنى سَلِمة ، أنّ أخاه عبد الله بن كَعْب — وكان من أعلم الأنصار — حدّثه أنّ أباه كعب ابن مالك حدّثه — وكان كعب ممّن شهد العقبَة ، وبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بها ، قال : خرجنا فى حُجّاج قومنا ، وقد صلّينا وفقِهنا ، ومعنا البَراءُ ابن مَعْرُور ، سيّدُنا وكبيرنا . فلمّا وُجّهنا[٣] لسفرنا ، وخرجنا من المدينة ، قال البرَاء لنا : والله يا هؤلاء ، إنى قد رأيتُ رأيًا ، والله ما أدرى أتُوافقونِى عليه أم لا ! قال : فقلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيتُ ألاّ أدعَ هذه البَنِيَّة

١٢١٨/١ منّى بظهْر — يعنى الكعبة — وأنْ أصلّىَ[٤] إليها . قال : فقلنا : والله ما بلغنا عن نبيّنا أنه يصلى إلاّ إلى الشّام ، وما نريدُ أن نخالفه . قال : فقال : إنّى لمُصلٍّ إليها ، قال : فقلنا له : لكنّا لا نفعل ، قال : فكنّا إذا حضرت الصّلاة صلّينا إلى الشأم ، وصلى إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة .

قال : وقد عِبْنا عليه ما صَنع ، وأبىَ إلاّ الإقامة على ذلك ؛ فلما قدِمْنا مكّة قال لى : يابنَ أخِى ، انطلِقْ بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى أسأله عمّا صنعتُ فى سفرى هذا ، فإنّى والله لقدْ وقَع فى نفسى منه شىء ؛ لما رأيت من خِلافكم إيّاى فيه .

قال : فخرجْنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكنّا لا نعرفه ،

---

(١) م : « وإعزازاً لأهله » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٠ - ٢٧٣

(٣) وجهنا : توجهنا .

(٤) ر : « نصلى » .

ولم نرَهُ قبل ذلك — فلقينا رجُلاً من أهلِ مكّة، فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هل تعرفانه ؟ قلنا : لا ، قال : فهل تعرفان العبّاس ابن عبد المطّلب عمّه؟ قلنا : نعم — قال: وقد كنا نعرف العبّاس، كان لا يزال يقدَمُ علينا تاجراً — قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرّجل الجالس مع العباس ابن عبد المطلب ، قال : فدخلنا المسجد ؛ فإذا العبّاس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع العبّاس ؛ فسلّمنا؛ ثم جلسنا إليه، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للعبّاس : هل تعرفُ هذيْن الرّجُلين يا أبا الفضل؟ قال : نعم ؛ هذا البَرَاء بن معرور سيّد قومه؛ وهذا كعب بن مالك — قال : فوالله ما أنسى قولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: الشاعر؟ قال: نعم — قال : فقال له البَرَاء بن معرور : يا نبيّ الله ؛إني خرجتُ في سفرى هذا ؛ وقد هدانى الله للإسلام ، فرأيت ألاّ أجعل هذه البنيّة منّى بظهْر ، فصلّيت إليها ؛ وقد خالفنى أصحابى فى ذلك ؛ حتى وقع فى نفسى من ذلك شىء ؛ فماذا ترى ١٢١٩/١
يا رسول الله ؟ قال : قد كنتَ على قِبْلَةٍ لو صبرت عليها ! فرجع البَرَاء إلى قِبْلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وصلى معنا إلى الشأم . قال: وأهلُه يزعمون أنه صلىّ إلى الكعبة حتى مات ؛ وليس ذلك كما قالوا ؛ نحن أعلم به منهم .

قال : ثم خرجْنا إلى الحجّ، وواعَدنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العقَبَة من أوسط أيام التّشريق .

قال : فلما فرغنا من الحجّ ؛ وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها؛ ومعنا عبد الله بن عمرو بن حَرَام ،أبو جابر ،أخبرناه[1] ،وكنّا نكتُم مَنْ معنا من المشركين من قومنا أمرَنا ؛ فكلّمناه، وقلنا له : يا أبا جابر ؛ إنّك سيّد من سادتنا، وشريفٌ مِن أشرافنا، وإنّا نرغبُ بك عمّا أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً . ثم دعَوْنَاه إلى الإسلام ؛ وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيّانا العقَبة .

قال : فأسلم ، وشهد معنا العقَبة — وكان نقيباً — فبتْنا تلك اللّيلة مع قومنا فى رِحالنا حتى إذا مضى ثُلث الليل ، خرجْنا من رِحالنا لميعاد رسول

(١) ابن هشام : أخذناه معنا .

الله صلى الله عليه وسلم ، نتسلل مستخفين تسلُّل القَطا ؛ حتى اجتمعنا فى الشِّعب عند العقَبة ؛ ونحن سبعون رجلاً ، ومعهم[١] امرأتان من نسائهم : نُسيبة بنت كعب أمّ عُمارة إحدى نساء بنى مازن بن النّجار ، وأسماء بنت عمرو بن عدىّ ، إحدى نساء بنى سلِمة ؛ وهى أمّ منيع ؛ فاجتمعنا بالشِّعب
١/١٢٢٠ نتتظر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى جاءنا ومعه عمّه العبّاس بن عبد المطّلب وهو يومئذ على دين قومه ؛ إلاّ أنه أحبّ أن يحضُرَ أمرَ ابن أخيه ، ويتوثّق له ؛ فلمّا جلس كان أوّل مَنْ تكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : يا معشرَ الخزرج — وكانت العربُ إنما يسمُّون هذا الحىّ من الأنصار : الخزرج ؛ خزرجها وأوسها — إن محمداً منّا حيث قد علمتم ؛ وقد منعناه من قومنا ممّن هو على مثل رأينا ؛ وهو فى عزّ من قومِه ومَنَعة فى بلده ؛ وإنه قد أبى إلاّ الانقطاعَ إليكم واللّحُوق بكم ؛ فإن كنتم ترونْ أنّكم وافون له بما دعوتموه إليه ؛ ومانعوه ممّن خالفه ؛ فأنتم وما تحمّلتم[٢] من ذلك ؛ وإن كنتم ترونْ أنّكم مُسلِموُه وخاذلوه بعد الخروج إليكم ، فمن الآن فدَعُوه ، فإنّه فى عزّ ومَنَعةٍ من قومه وبلده .

قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ؛ فتكلّمْ يا رسولَ الله ؛ وخذ لنفسك وربّك ما أحببتَ .

قال : فتكلّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغّب فى الإسلام ، ثمّ قال : أبايعُكم علَىَ أن تمنعونى ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

قال : فأخذ البَرَاء بن معرور بيدِه ، ثم قال : والذى بعثَك بالحقّ ، لنمنعنّك مما نمنَع منه أُزُرَنا[٣] ، فبايعْنا يا رسولَ الله ، فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلْقة[٤] ؛ ورثناها كابراً عن كابر .

---

(١) ابن هشام : « ومعنا امرأتان من نسائنا » .

(٢) ح : « حملتم » .

(٣) أزرنا ؛ أى نساءنا ؛ والمرأة قد يكنى عنها بالإزار .

(٤) الحلقة ، أى السلاح .

قال : فاعترض القول — والبرَاء يكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلّم — أبو الهيثم بن التَّيِّهان ، حليف بنى عبد الأشهل ، فقال : يا رسولَ الله ، إنّ بيننا وبين النّاس حِبالاً وإنّا قاطعوها — يعنى اليهود — فهل عَسَيتَ إن نحنُ فعلْنا ذلك ، ثم أظهرَك الله ، أن ترجعَ إلى قومك ، وتَدَعَنا ! قال : فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ثم قال : بل الدَّم الدَّم ، الهدْم ١٢٢١/١
الهدْم(١)! أنتم منّى وأنا منكم ؛ أحارب مَنْ حاربتم وأسالم من سالمتم .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلىّ منكم اثنَىْ عشر نقيباً ؛ يكونون على قومهم بما فيهم .فأخرجوا اثنى عشر نقيباً ؛ تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس(٢) .

حدّثنا ابن حُمَيد، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : قال محمّد بن إسحاق : فحدّثنى عبدُالله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء : أنتمْ على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحواريّين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومى ، قالوا : نعم .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنا محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى عاصم بن عمر بن قَتادة ، أنّ القومَ لمّا اجتمعوا لبيعةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال العباس بن عبادة بن نَضْلة الأنصارىّ ، ثم أخو بنى سالم بن عوف : يا معشرَ الخزرج ، هلْ تدرون عَلامَ تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنّكم تبايعونه على حرْب الأحمر والأسود من الناس ؛ فإن كنتم ترَوْن أنكم إذا نُهكت أموالكم مصيبة ؛ وأشرافُكم قتلا أسلمتموه ؛ فمن الآن فهو والله خِزْىُ(٣) الدّنيا والآخرة إن فعلتم ، وإن كنتم

---

(١) قال ابن قتيبة : «كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار : دمى دمك ، وهدمى هدمك ؛ أى ما هدمت من الدماء هدمته أنا » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٣، ٢٧٥

(٣) ر : « خزى فى الدنيا » .

ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، على نهكة[1] الأموال ، وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خيرُ الدّنيا والآخرة . قالوا : فإنّا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ؛ فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفّينا ؟ قال : الجنّة ، قالوا :
١٢٢٢/١ ابسُط يدَك ، فبسطَ يده فبايعوه .

وأما عاصم بن عمر بن قتادة ، فقال : والله ما قال العبّاس ذلك إلاّ ليشدّ العَقْدَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم . وأما عبدُ الله بن أبى بكر ، فقال : والله ما قال العبّاس ذلك إلا ليؤخّر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبىّ بن سلُول ، فيكون أقوى لأمر القوم . والله أعلم أىّ ذلك كان ؛ فبنو النّجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أوّل مَنْ ضرب على يديه[2] ، وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم ابن التّيّهان[3] .

قال ابن حُميد ، قال : سلمة ، قال محمّد : وأما معبَد بن كعب بن مالك فحدّثنى — قال أبو جعفر : وحدّثنى سعيد بن يحيى بن سعيد — قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنا محمّد بن إسحاق ، عن معبد بن كعب ، قال : فحدّثنى فى حديثه عن أخيه عبد الله بن كعْب عن أبيه كعب بن مالك ، قال : كان أوّل مَنْ ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البرَاء بن معرور ؛ ثم تتابع القوم ؛ فلمّا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشّيطان من رأس العَقبة بأنفذ صوت سمعته قطّ : يا أهلَ الجباجب[4] هل لكم فى مُذمَّم والصُّباة[5] معه ، قد اجتمعوا على حربكم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يقول عدو
١٢٢٣/١ الله ؟ هذا أزَبّ العقبة ، هذا ابن أزْيب[6] ؛ اسمع عدوّ الله ؛ أما والله لأفرُغَنّ

(١) نهكة الأموال : نقصها ، وفى م : « تهلكة الأموال » .
(٢) ح : « يده » .
(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٧
(٤) قال ابن هشام : « الجباجب : المنازل » .
(٥) المذمم : المذموم غاية الذم . والصباة : جمع صابئ ، بالهمزة ؛ وكان يقال للرجل إذ أسلم زمن النبى عليه السلام : « صابئ » .
(٦) قال ابن هشام : « ويقال : ابن أزيب » ، وأزب العقبة : اسم الشيطان .

لك. ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : ارفضوا(١) إلى رحالكم. فقال له العبّاس ابن عبادة بن نضلة: والّذى بعثَك بالحقّ لئن شئت لنميلنّ غدا على أهل مِنًى بأسيافنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم نُؤمَر بذلك ؛ ولكن ارجعوا إلى رحالكم ، قال : فرَجعنا إلى مضاجعنا ، فنِمْنا عليها ؛ حتّى أصبحنا ؛ فلمّا أصبحنا غدَتْ علينا جِلّةُ قريش حتّى جاءونا فى منازلنا ، فقالوا : يا معشرَ الخزرج ؛ إنّا قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ؛ وإنّه والله ما من حىّ من العرب أبغض إلينا أن تنشَبَ الحرب بيننا وبينهم منكم ؛ قال : فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون لهم بالله : ما كان من هذا شىء وما علمناه .

قال : وصدقوا لم يعلموا . قال : وبعضنا ينظُر إلى بعض ؛ وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومىّ ، وعليه نعلان جديدان(٢) .

قال : فقلت كلمة كأنّى أريد أن أشرِك القوم بها فيما قالوا : يا أبا جابر ؛ أما تستطيع أن تتّخذ وأنت سيّد من ساداتنا مثل نعلَىْ هذا الفتى من قريش ؟ قال : فسمعها الحارث ، فخلعهما من رجليْه ؛ ثم رمى بهما إلىّ ، وقال : والله لتنتعلنّهما . قال : يقول أبو جابر : مَهْ أحفظت(٣) والله الفتى ! فاردُدْ ١ / ١٢٢٤
عليه نعليه ، قال : قلت : والله لا أردّهما ؛ فأل والله صالح ؛ والله لئن صدق الفأل لأسلبنّه .

فهذا حديث كعب بن مالك عن العقَبة وما حضر منها(٤) .

* * *

قال أبو جعفر : وقال غيرُ ابن إسحاق : كان مَقدمُ مَنْ قدم على النبىّ صلى الله عليه وسلم للبيعة من الأنصار فى ذى الحجّة ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدهم بمكّة بقيّة ذى الحجة من تلك السنّة ، والمحرّم

(١) ارفضوا : تفرقوا .

(٢) قال السهيلى : « النعل مؤنثة ؛ ولكن لا يقال : جديدة فى الفصيح من الكلام ؛ وإنما يقال : ملحفة جديد ؛ لأنها فى معنى جديدة ، أى مقطوعة » .

(٣) أحفظت : أغضبت .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٧ ، ٢٧٨

وصفر ؛ وخرج مهاجِراً إلى المدينة فى شهر ربيع الأول ؛ وقدِمها يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلَتْ منه .

وحدّثنى علىّ بن نصر بن على ، وعبد الوارث بن عبد الصّمد بن عبدالوارث — قال علىّ بن نصر : حدّثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث ، وقال عبد الوارث : حدّثنى أبى — قال : حدّثنا أبان العطّار ، قال : حدّثنا هشام بن عُروة ، عن عُروة ؛ أنّه قال : لمّا رجع من أرض الحبشة من رَجع منها ممّن كان هاجر[١] إليها قبل هجرة النبىّ صلى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، جعل أهلَ الإسلام يزدادون ويكثرون ، وإنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير، وفشا بالمدينة الإسلام ؛ فطفِق أهلُ المدينة يأتونَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة ، فلمّا رأت ذلك قريش تذامرت على أنْ يفتنوهم ، ويشتدّوا عليهم[٢] ، فأخذوهم وحرصوا على أن يفتنوهم ، فأصابهم جَهد شديد ، وكانت الفتنة الآخرة ، وكانت فتنتيْن : فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة ، حين أمرهم بها ، وأذن لهم فى الخروج إليها ، وفتنة لما رجعوا ورأوْا من يأتيهم من أهل المدينة .

١/١٢٢٥ ثم إنه جاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم من المدينة سبعون نقيباً ، رءوس الّذين أسلموا ، فوافوْه بالحجّ فبايعوه بالعقَبة ، وأعطوْه عهودهم[٣] ؛ علَى أنّا منك وأنت منّا ، وعلى أنه منْ جاء من أصحابك أوجئتنا[٤] فإنّا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا . فاشتدّت عليهم قريش عند ذلك ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم أصحابه بالخروج إلى المدينة ؛ وهى الفتنة الآخرة التى أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلّم أصحابه وخرج ، وهى التى أنزل الله عزّ وجلّ فيها : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾[٥] .

---

(١) م : « مهاجرا » .
(٢) م : « عليه » .
(٣) م : « عهدهم » .
(٤) م : « وجئتنا » .
(٥) سورة الأنفال ٣٩ .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمَة ، قال : حدّثني محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم ، أنّهم أتوْا عبد الله بن أبيّ بن سَلُول — يعني قريشًا — فقالوا مثل ما ذكر كعْب بن مالك من القول لهم ، فقال لهم : إنّ هذا لأمرٌ جسيم ؛ ما كان قومي ليتفوّتوا[١] عليّ بمثل هذا وما علمته كان . فانصرفوا عنه ، وتفرّق النّاس مِنْ مِنىً ، فتنطّس[٢] القوم الخبر فوجدوه قد كان ، وخرجوا في طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادة بالحاجر[٣] ، والمنذر بن عمرو أخا بني ساعدة ابن كعب بن الخزرج ؛ وكلاهما كان نقيبًا ؛ فأمّا المنذر فأعجز القوم ، وأمّا سعد فأخذوه ، وربطوا يديه إلى عنقه بِنِسْع[٤] رَحْله ، ثمّ أقبلوا به حتى أدخلوه مكّة ، يضربونه ويجبذونه بجُمّته[٥] — وكان ذا شَعَر كثير — فقال سعد: ١٢٢٦/١
فوالله إنّي لفي أيديهم ؛ إذ طلع علَيّ نفر من قريش ؛ فيهم رجُلٌ أبيض وَضِيءٌ شَعْشاع[٦] حلو من الرّجال . قال : قلت : إن يكن عند أحدٍ من القوم خيْر فعند هذا ، فلمّا دنا منّي رفع يديه فلطمني[٧] لطمةً شديدة . قال : قلت في نفسي : والله ما عندهم بعد هذا[٨] خير . قال: فوالله إنّي لفي أيديهم يسحبونني ؛ إذ أوى[٩] إليّ رجل منهم ممّن معهم ، فقال : ويحك ! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهدٌ[١٠] ! قال: قلتُ : بلَى والله ، لقد كنت أجِيرُ[١١] لجبير بن مطعِم بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف تِجَارَه ُ،

(١) يقال : تفوت عليه بكذا ؛ أى فاته به .
(٢) كذا فى ابن هشام ، وتنطس القوم الخبر ؛ أى أكثروا البحث عنه ، وفى ط : « تبطن » .
(٣) ابن هشام : « بأذاخر » .
(٤) النسع : الشراك الذى يشد به الرحل .
(٥) فى ابن هشام : « يجذبونه » . والجمة : مجمع الشعر .
(٦) قال ابن هشام : « الشعشاع : الطويل الحسن » .
(٧) ح ، ر ، ابن هشام : « فلكمنى لكمة » .
(٨) ح : « بعدها » .
(٩) ر : « أمى إلى » .
(١٠) م : « عقد » .
(١١) م : « أجيز » .
(١٢) التجار : جمع تاجر.

وأمنعهم ممّن أراد ظلمهم ببلادى ؛ وللحارث بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف . قال : ويحَك ! فاهتِف باسم الرجلين ،واذكرما بينك وبينهما . قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما ، فوجدهما فى المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : إنّ رجلاً من الخزرج الآن يُضرب بالأبطح ؛ وإنّه ليَهتف بكما ، ويذكُر أنّ بينه وبينكما جوارا ، قالا : ومَنْ هو ؟ قال: سعد بن عبادة ، قالا: صَدَقَ والله إن كان ليَجير تجارنا(١) ، ويمنعهم أن يظلَموا ببلده .

١/١٢٢٧ قال : فجاءا فخلّصا سعداً من أيديهم وانطلق . وكان الذى لكم سعداً سُهَيْل ابن عمرو ، أخو بنى عامر بن لؤى(٢) .

* * *

قال أبو جعفر : فلما قدِموا المدينة ، أظهروا الإسلام بها ، وفى قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من أهل الشِّرْك ؛ منهم عمرو بن الجَمُوح ابن زيد بن حرام بن كعب بن غَنْم بن سلِمة ، وكان ابنه مُعاذ بن عمرو قد شهد العقَبة ، وبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم فى فتيان منهم ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلّم مَنْ بايع من الأوس والخزرج فى العقَبة الآخرة ؛ وهى بيعة الحرب حين أذن الله عزّ وجلّ فى القتال بشروط غير الشروط فى العقَبة الأولى ، وأمّا الأولى فإنّما كانت على بيعة النساء ؛ على ما ذكرت الخبر به عن عبادة بن الصامت قبل ؛ وكانت بيْعة العقبة الثانية على حَرْب الأحمر والأسود على ما قد ذكرتُ قبل ، عن عروة بن الزبير . وقد حدّثنا ابن حُميد — قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، عن أبيه الوليد ، عن عبادة بن الصامت — وكان أحد النقباء — قال : بايعْنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم على بيعة الحرب ؛ وكان عُبادة من الاثنى عشر الّذين بايعوا فى العقَبة الأولى .

* * *

قال أبو جعفر : فلمّا أذِن الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلّم فى

(١) كذا فى ابن هشام و ط ؛ وفى الأصول : « تجارته » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٨ ، ٢٧٩

القتال ، ونزل قوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾[١] ، وبايعه الأنصار علَى ما وصفتُ من بيعتِهم ، أمَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم أصحابه ممّن هو معه بمكّة من المسلمين بالهجرة والخروج إلى المدينة ، واللّحوق بإخوانهم من الأنصار ؛ وقال : إنّ الله عزّ وجلّ قد جعل لكم إخوانًا وداراً تأمنون فيها فخرجوا أرْسالاً ، وأقام رسولُ الله صلّى الله ١٢٢٨/١
عليه وسلّم بمكة ينتظر أن يأذن له ربُّه بالخروج من مكة ؛ فكان أول من هاجر من المدينة والهجرة إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من قريش ، ثم من بنى مخزوم ، أبو سلمَة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، هاجر إلى المدينة قبل بَيْعة أصحاب العقَبة رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم بسنة ، وكان قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة من أرض الحبشة ، فلما آذتْه قريش ، وبلغه إسلامُ مَنْ أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مهاجراً .

ثم كان أوّل مَنْ قدم المدينة من المهاجرين بعد أبى سلمَة ، عامر بن ربيعة ، حليف بنى عدىّ بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمَة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عَبيد بن عَوِيج بن عدىّ بن كعب . ثم عبد الله ابن جَحْش بن رِئاب ، وأبو أحمد بن جَحْش — وكان رجلاً ضرير البصر ، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد — ثم تتابع أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى المدينة أرسالا .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة بعد أصحابه من المهاجرين ؛ ينتظر أن يُؤذَن له فى الهجرة . ولم يتخلّف معه بمكّة أحد المهاجرين إلا أُخِذ فحبس أو فتن إلاّ علىّ بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قُحافة . وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم فى الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجلْ ، لعلّ الله أن يجعل لك صاحبًا ، فطمع أبو بكر أن يكونه[٢] ، فلما رأتْ قُرَيش أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ١٢٢٩/١

---

(١) سورة الأنفال ٣٩ .

(٢) ر : « أن يكون هو صاحبه » .

قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم ، بغير[١] بلدهم ، ورأوْا خروجَ أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم مَنَعَة ، فحذروا خروجَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم إليهم ، وعرفوا أنّه قد أجمع أن يلحَقَ بهم لحربهم ، فاجتمعوا له فى دار النّدوة ؛ وهى دار قُصَىّ بن كِلاب ، التى كانت قريش لا تقضِى أمراً[٢] إلاّ فيها ، يتشاورون فيها ما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم حين خافوه[٣] !

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مجاهد بن جَبْر أبى الحجاج ، عن ابن عبّاس ، قال : وحدّثنى الكلبىّ ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس والحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عُتَيبة ، عن مِقسَم ، عن ابن عبّاس قال : لمّا اجتمعوا لذلك واتّعدُوا أن يدخلوا دار الندوة ، ويتشاوروا فيها فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم غَدَوْا فى اليوم الذى اتّعدوا له ؛ وكان ذلك اليوم يسمى الزَّحْمَة ؛ فاعترضَهُم إبليس فى هيئة شيخ جليل ، عليه بتٌّ[٤] له ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوْه واقفاً على بابها ، قالوا : مَن الشيخُ ؟ قال : شيخٌ من أهل نَجْد ، سمع بالذى اتّعدتم له ، فحضر معكم ليسْمَعَ
١/١٢٣٠ ما تقولون ، وعسى ألاّ يعدِمَكُم منه رأى ونُصحٌ ، قالوا : أجَلْ ، فادخُلْ ، فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشراف قريش كلّهم ، من كلّ قبيلة ؛ من بنى عبد شمس شَيْبة وعُتْبة ابنا ربيعة وأبو سفيان بن حرب ، ومن بنى نَوْفل ابن عبد مناف طُعَيْمَة بن عدىّ وجبير بن مُطْعِم والحارث بن عامر ابن نوفل. ومن بنى عبد الدار بن قُصَىّ النَّضْر بن الحارث بن كلَدَة . ومن بنى أسَد بن عبد العُزّى أبو البَخترىّ بن هشام وزَمعة بن الأسود بن المطلب ، وحكيم بن حِزام . ومن بنى مخزوم أبو جهل بن هِشام ، ومن بنى سهم نُبيه

---

(١) م : « من غير بلدهم » .

(٢) م : « الأمر » .

(٣) م : « خافوا » .

(٤) البت : الكساء الغليظ .

ومُنبِّه ابنا الحجاج. ومن بنى جُمَح أميّة بن خلَف؛ ومَنْ كان معهم[١] وغيرهم ممن لا يُعدُّ من قريش.

فقال بعضُهم لبعض: إنّ هذا الرجلَ قد كان أمْره ما قد كان وما قد رأيتم؛ وإنّا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمَنْ قد اتّبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأياً؛ قال: فتشاروا. ثم قال قائلٌ منهم: احبِسُوه فى الحديد، وأغلقوا عليه باباً، ثمّ تربّصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين قبله: زُهَيْراً، والنّابغة ومَنْ مضى منهم؛ من هذا الموت حتى يصيبَه منه ما أصابهم.

قال: فقال الشيخُ النجدىّ: لا والله، ما هذا لكم برأى؛ والله لو حبستمُوه - كما تقولون - لخرج أمرُه من وراء الباب الذى أغلقتمُوه دونَه إلى أصحابه؛ فلأوشكوا أن يثِبُوا عليكم فينتزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم حتى يغلِبوكم على أمركم هذا؛ ما هذا لكم برأى فانظروا فى غيره.

١٢٣١/١ ثم تشاوروا، فقال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيَه من بلدنا؛ فإذا خرج عنّا فوالله ما نبالى أين ذهبَ، ولا حيث وقع، إذا[٢] غاب عنا وفرغنا منه. فأصلحنا أمرَنا، وألفتُنا كما كانت.

قال الشيخ النجدىّ: والله ما هذا لكم برأى؛ ألم تروْا حسنَ حديثه، وحلاوة منطقه، وغلَبته على قلوب الرجال بما يأتى به! والله لو فعلتُم ذلك ما أمنتُ أن يحلّ على حىّ من العرب، فيغلب عليهم[٣] بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم، فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد. أديروا فيه رأياً غير هذا!

قال: فقال أبو جهل بن هشام: والله إنّ لى فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعدُ! قالوا: وما هو يا أبا الحكَم؟ قال: أرى أن تأخذوا من كلّ قبيلة

---

(١) كذا فى ابن هشام، وفى ط: «منهم»

(٢) كذا فى ابن هشام، وفى ط: «غاب عنا أذاه».

(٣) ح: «على قلوبهم».

فتًى شابًّا جلْداً ، نسيبًا وسيطًا فينا ، ثم نعطِى كلّ فتًى منهم سيفًا صارمًا ثم يعمِدُون إليه ، ثم يضربونه بها ضرْبة رجل واحد فيقتلونه فنستريح ؛ فإنّهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه فى القبائل كلّها ؛ فلم يقدر بنُو عبد مناف على حرْب قومهم جميعًا ، ورضُوا منّا بالعقل فعقلناه لهم .

قال : فقال[١] الشيخ النجدىّ : القول ما قال الرجُل ، هذا الرأى لا رأىَ لكم غيره .

فتفرّق القوم على ذلك وهم مجمِعون له ، فأتى جبريل رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال : لا تبتْ هذه الليلة على فراشك الذى كنتَ تبيت عليه !

١٢٣٢/١ قال : فلمّا كان العَتمةُ من اللّيل ، اجتمعوا على بابه فترصّدوه متى ينام ، فيثبون عليه . فلمّا رأى رسولالله صلىالله عليهوسلّم مكانهم ، قال لعلى بن أبى طالب : نمْ على فراشى ، واتّشحَ[٢] ببرْدى الحضرمىّ الأخضر ؛ فنمْ فإنه لا يخلُص إليك شىء تكرهه منهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى بُرده ذلك إذا نام[٣] .

قال أبو جعفر : زاد بعضُهم فى هذه القصّة فى هذا الموضع : وقال له : إنْ أتاك ابن أبى قُحافة ، فأخبرْه أنّى توجّهت إلى ثوْر ، فمُرْهُ فليلْحقْ بى ، وأرسل إلىّ بطعام ، واستأجرْ لى دليلاً يدلّنى على طريق المدينة ؛ واشتر لى راحلةً . ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ، وأعمى الله أبصارَ الذين كانوا يرصُدونه[٤] عنه ، وخرج عليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم .

فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى يزيد بن زياد ، عن محمّد بن كعب القُرَظىّ ، قال : اجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل بن هِشام ، فقال وهم على بابه : إنّ محمّداً

---

(١) ط : « يقول » ، وما أثبته من ابن هشام .

(٢) ابن هشام « وتسجّ » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٩٠ ، ٢٩١

(٤) ح : « يترصدونه » .

يزعُم أنّكم إن تابعتمُوه على أمره كنتم ملوكَ العرب والعجم، ثم بُعثتم بعد موتكم فجعِلت لكم جنان كجنان الأردنّ، وإن لم تفعلوا كان لكم منه ذبح، ثم بُعثتم بعد موتكم، فجعِلت لكم نار تحرّقون فيها.

قال: وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم، فأخذ حفنة من تراب، ثم قال: نعم، أنا أقول ذلك، أنت أحدُهم. وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونْه(١)، فجعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم؛ وهو يتلو هذه الآيات من ١٢٣٣/١
يس: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلّم من هؤلاء الآيات، فلم يبقَ منهم رجل إلاّ وقد وضع على رأسه ترابًا؛ ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب.

فأتاهم آت ممّن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون ها هنا؟ قالوا: محمّدا، قال: خيّبكم الله! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك(٢) منكم رجلا إلاّ وقد وضع على رأسه ترابًا، وانطلق لحاجته؛ أفما ترونَ ما بكم؟ قال: فوضع كلّ رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يطّلعون(٣)، فيرونْ عليًّا على الفراش(٤) متسجّيًا(٥) ببُرْد رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فيقولون: والله إنّ هذا لمحمّد نائم، عليه بُردُه؛ فلم يبرحُوا كذلك حتى أصبحوا، فقام عليّ عن(٦) الفراش، فقالوا: والله لقد صَدَقَنا الذى كان حدّثنا، فكان ممّا نزل(٧) من القرآن فى ذلك اليوم، وما كانوا أجمعوا(٨) له:

(١) ح: «يرون له أثراً».
(٢) ح: «لم يترك».
(٣) ر: «يتطلعون».
(٤) ح: «فى الفراش».
(٥) ر: «متشحاً».
(٦) ر: «من الفراش».
(٧) ح: «أنزل الله».
(٨) ح: «اجتمعوا».

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾،(١) وقول الله عز وجل: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾(٢)

وقد زعم بعضُهم أنّ أبا بكْر أتى عليًّا فسأله عن نبيّ الله صلى الله عليه
١٢٣٤/١ وسلم فأخبره أنه لحِقَ بالغار من ثوْر، وقال: إن كان لك فيه حاجةٌ فالحقْه، فخرج أبو بكر مسرعًا(٣)، فلحق نبيّ الله صلى الله عليه وسلم في الطّريق، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم جَرْسَ أبي بكر في ظلْمة اللّيل، فحسبه من المشركين، فأسرع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المشيَ، فانقطع قبَالُ نعله ففلق إبهامَه حَجَرٌ فكثر دمها، وأسرع السعيَ، فخاف أبو بكر أن يشقّ على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فرفع صوته، وتكلّم، فعرفه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقام حتى أتاه، فانطلقا ورِجْل رسول الله صلى الله عليه وسلم تستَنّ دمًا؛ حتّى انتهى إلى الغار مع الصّبح؛ فدخلاه. وأصبح الرّهط الذين كانوا يرصُدون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخلوا الدّار، وقام عليّ عليه السّلام عن فراشه، فلما دنوْا منه عرفوه، فقالوا له: أين صاحبُك؟ قال: لا أدري، أو رَقيبًا كنتُ عليه! أمرتموه بالخروج فخرج؛ فانتهروه وضربوه وأخرجوه إلى المسجد، فحبسوه ساعة ثم تركوه، ونجّى الله رسولَه من مكرهم وأنزل عليه في ذلك: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾.

---

(١) سورة الأنفال ٣٠.

(٢) سورة الطور ٣٠، ٣١. قال ابن هشام المنون: الموت. وريب المنون: ما يريب ويعرض منها؛ قال أبو ذؤيب الهذلي:

أَمِنَ المنُونِ وريبها تتوجَّع والدّهرُ ليسَ بمعتبٍ من يجزعُ

والخبر: في ابن هشام ١: ٢٩٢

(٣) ح: «يمشي مسرعاً».

قال أبو جعفر : وأذِنَ الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلم عندَ ذلك بالهجرة ، فحدّثنا علىّ بن نصر الجهضمىّ ، قال : حدّثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث ، وحدّثنا عبد الوارث بن عبدالصّمد بن عبد الوارث ، قال : حدّثنا أبى ، قال : حدّثنا أبان العطّار ، قال : حدّثنا هشام بن عُرْوة ، عن عُرْوة ،
١ / ١٢٣٥ قال: لـمّا خرج أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وقَبْلَ[1] أن يخرج – يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم – وقبل أن تنزل هذه الآية التى أمِرُوا فيها بالقتال، استأذنه أبو بكر ؛ ولم يكن أمرَه بالخروج مَعَ مَنْ خرج من أصحابه ، حبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له : أنظِرْنى ، فإنّى لا أدرى ؛ لعلّى يُؤذن لى بالخروج . وكان أبو بكر قد اشترى راحلتين يعدّهما للخروج مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ؛ فلمّا استنظره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بالذى يرجو من ربّه أن يأذَنَ له بالخروج ، حبَسَهما وعَلَفهما ، انتظارَ صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أسمنهما ، فلما حبس عليه خروج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال أبو بكر : أتطمع أن يؤذن لك ؟ قال : نعم ؛ فانتظره فمكث بذلك[2] .

فأخبرتنى عائشة ، أنهم بينا هم ظُهْرًا فى بيتهم ، وليس عند أبى بكر إلاّ ابنتاه : عائشة وأسماء ؛ إذا هم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قام قائم الظّهيرة – وكان لا يخطئه يومًا أن يأتىَ بيتَ أبى بكر أوّل النهار وآخرَه – فلما رأى أبو بكر النبى صلى الله عليه وسلم جاء ظُهْرًا ، قال له : ما جاء بك يا نبىّ الله إلاّ أمرٌ حدث ؟ فلمّا دخلَ عليهم النبىّ صلى الله عليه وسلم البيت ، قال لأبى بكر : أخرِج مَنْ عندك ، قال : ليس علينا عيْن ، إنّما هما ابنتاى، قال : إنّ الله قد أذن لى بالخروج إلى المدينة ، فقال أبوبكر: يا رسولَ الله، الصّحابة، الصّحابة ! قال: الصحابة. قال أبو بكر: خذ إحدى
١ / ١٢٣٦ الرّاحلتين– وهما الرّاحلتان اللتان كان يُعلِفهما أبوبكر، يُعِدّهما للخروج، إذا

(١) م : « قبل » .

(٢) ح : « فمكثا كذلك » .

أذِنَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم — فأعطاه إحدى الرّاحلتين ، فقال : خذها يا رسول الله[١] فارتحِلْها ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم . قد أخذتُها بالثمن ، وكان عامر بن فُهَيرة مُولَّداً[٢] من مُوَلَّدى الأزْدِ ، كان للطُّفَيْل ابن عبد الله بن سَخْبَرَة[٣] ، وهو أبو الحارث بن الطُّفَيل ، وكان أخا عائشة بنت أبى بكر وعبد الرحمن بن أبى بكر لأمّهما ، فأسلم عامر بن فُهيرة ، وهو مملوك لهم ، فاشتراه أبو بكر فأعتقه ، وكان حَسَنَ الإسلام ، فلمّا خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، كان لأبى بكر مَنِيحةٌ[٤] من غَنَمٍ تروحُ على أهله ، فأرسل أبو بكر عامراً فى الغنم إلى ثوْر ، فكان عامر بن فهَيْرة يروح بتلك الغَنَم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغار فى ثَوْر ، وهو الغار الذى سمّاه الله فى القرآن ، فأرسل بظهرهما رجلاً من بنى عبد بن عدىّ ، حليفًا لقريش من بنى سَهْم ، ثم آل العاص بن وائل ؛ وذلك العَدَوِىّ يومئذ مشركٌ ، ولكنّهما استأجراه ، وهو هاد بالطّريق . وفى الليالى[٥] التى مكثا[٦] بالغار كان[٧] يأتيهما عبدُ الله بن أبى بكر حين يُمسى بكلّ خبر[٨] بمكّة ، ثم يصبح بمكّة ويريح عامر الغنم كلّ ليلة ، فيحلُبان ، ثم يسرح بُكرَةً فيصبح[٩] فى رُعْيانِ النّاس ، ولا يُفْطَن له ؛ حتى إذا هدأت عنهما الأصوات ، وأتاهما أنْ قد سُكِت عنهما ، جاءهما صاحبهما ببعيريْهما[١٠] ، فانطلقا وانطُلِق معهما بعامر بن فُهَيْرةَ يخدمُهما ويعينهما ، يُردفه أبو بكر ويُعقبه علَى رَحْله ، ليس معهما أحدٌ إلاّ عامر بن فُهَيْرة ،

---

(١) ح : بأبى أنت يا رسول الله » .
(٢) ح : « مولوداً » .
(٣) ضبطه صاحب التقريب بفتح فسكون .
(٤) المنيحة : ذات اللبن . وفى الفائق : « منحة » .
(٥) ح : « فى الليالى » .
(٦) ح : « مكثها » .
(٧) م : « وكان » .
(٨) ح ، ر : « خير » .
(٩) ح : « فأصبح » .
(١٠) ح ، ه : « ببعيرهما » .

وأخو بنى عدىّ يهديهما الطّريق ، فأجاز بهما فى أسفل مكة[١] ، ثم مضى ١٢٣٧/١
بهما حتى حاذَى بهما الساحل ، أسفلَ من عُسْفان ، ثم استجاز بهما حتى
عارض الطّريق بعد ما جاوز قُدَيْداً ، ثم سلك الخَرّار[٢] ، ثم أجاز على
ثَنيَّة المَرَة[٣] ، ثم أخذ على طريق يقال لها[٤] المدْلجة بين طريق عَمْق
وطريق الرَّوْحاء، حتى توافَوْا[٥] طريق العَرْج ، وسلك ماء يقال له الغابر عن
يمين رَكُوبة ؛ حتى يَطْلع على بطن رِئم ، ثم جاء حتى قدِم المدينة على بنى
عمرو بن عوف قبل القائلة . فحُدّثت أنه لم يبقَ فيهم إلاّ يومين — وتزعم
بنو عمرو بن عوف أنْ قد أقام فيهم أفضلَ من ذلك — فاقتاد راحلتَه
فاتّبعتْه حتى دخل فى دُور بنى النجّار ، فأراهم رسولُ الله صلى اللهعليه وسلم
مِرْبداً كان بين ظهرىْ دورهم .

وقد حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن
إسحاق ، قال : حدّثنى محمّد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمىّ ،
قال : حدّثنى عُروة بن الزّبير ، عن عائشة زوْج النبىّ صلى الله عليه وسلم ،
قالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئه أحدٌ طرفَىِ النهار
أن يأتىَ بيت أبى بكر إمّا بُكْرةً ، وإمّا عشيّة ؛ حتى إذا كان اليوم
الذى أذن الله فيه لرسوله بالهجرة ، وبالخروج من مكّة من بين ظهرانىْ
قومه ، أتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة، فى ساعة كان لا يأتى فيها .
قالت : فلمّا رآه أبو بكر قال : ما جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ١٢٣٨/١
هذه السّاعة إلا لأمرٍ حدث. قالت : فلمّا دخل تأخّر أبو بكر عن سريره
فجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبى بكر إلاّ أنا وأختى

---

(١) م : « إلى أسفل مكة » .
(٢) م : « الحرار » .
(٣) ثنية المرة ، موضع ذكره ياقوت . وفى ح : « المرأة » .
(٤) ر : « له » ؛ والطريق تذكر وتؤنث .
(٥) ط : « ثم يوافق » ، وما أثبته من ح .

أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : أخْرِجْ عنّى مَنْ عندك[١] ، قال : يا نبيّ الله ، إنّما هما ابنتاىَ ، وماذاك فداك أبي وأمّى ! قال : إنّ الله عزّ وجلّ قد أذن لى بالخروج والهجرة ، فقال أبو بكر : الصُّحبة يا رسول الله ، قال : الصّحبة .

قالت : فوالله ما شعرتُ قطّ قبل ذلك اليوم أنّ أحداً يبكى من الفرح ؛ حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى من الفرح . ثم قال : يا نبيّ الله ، إنّ هاتيْنِ راحلتاىّ[٢] ، كنت أعددتُهما لهذا . فاستأجرا عبد الله بن أرقد — رجلاً من بنى الدِّيل بن بكْر ، وكانت أمّه امرأةً من بنى سَهْم بن عمرو ، وكان مشركًا — يدلّهما على الطّريق ، ودفعا إليه راحلتيْهما ، فكانتا[٣] عنده يرعاهما[٤] لميعادهما ، ولم يعلم — فيما بلغنى — بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلّم أحدٌ حين خرج إلاّ علىٌّ بن أبى طالب وأبو بكر الصدّيق ، وآل أبِى بكر ؛ فأمّا علىّ بن أبي طالب فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم — فيما بلغنى — أخبره بخروجه ، وأمَرَه أن يتخلّف بعده بمكّة حتى يؤدّىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للنّاس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم وليس بمكة أحدٌ عنده شىء يخشىَ عليه إلاّ وضعه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لِمَا يُعرف من صدقه وأمانته . فلمّا أجمعَ رسولُ الله صلى الله عليه ١٢٣٩/١
وسلّم للخروج أتى أبا بكر بن أبى قُحافة ، فخرجا من خَوْخَة لأبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عَمَدا إلى غار بثَوْر جبل بأسفل مكة ، فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبى بكر أنْ يسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهارَه ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبَر ، وأمَرَ عامرَ بن فُهَيرة مولاه أن يرعىَ غنمه نهاره ، ثم يُريحها عليهما إذا أمسى بالغار . وكانت أسماءُ بنت أبى بكر تأتيهما من الطعام[٥] إذا أمستْ بما يصلحهما ، فأقام رسولُ الله

(١) ح : « عندى » .
(٢) ح : « راحلتان » .
(٣) ح ، م : « فكانت » .
(٤) م : « يراعيهما » .
(٥) ر : « بالطعام » .

صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثًا ، ومعه أبو بكر ، وجعلت قريش حين فقدُوه مائة ناقة لمن يردّه عليهم ، فكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قريش ومعهم ، ويستمع ما يأتمرون به ، وما يقولون فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فُهَيرة مولَى أبى بكر يرعَى فى رُعْيانِ أهلِ مكّة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبد الله بن أبى بكر من عندهما إلى مكّة اتّبع عامر بن فهيرة أثرَه بالغنم ، حتى يُعفِّيَ عليه ؛ حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبهُما الذى استأجرا ببعيريهما ، وأتتهما ١٢٤٠/١
أسماء بنت أبى بكر بسفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عِصاما[1] . فلما ارتحلا ذهبت لتعلّق السُّفرة[2] ، فإذا ليس فيها عِصام فحلّت نِطاقها[3] ، فجعلَتْه لها عصامًا ، ثم علّقتها به ــ فكان يقال لأسماء بنت أبى بكر : ذات النّطاقين ؛ لذلك ــ فلما قرّبَ أبو بكر الرّاحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قرّب له أفضلهما ، ثم قال له : اركب فداك أبى وأمّى ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنّى لا أركب بعيراً ليس لى ، قال : فهو لك يا رسولَ الله بأبى أنت وأمّى ! قال : لا ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا ، قال : قد أخذتّها بذلك ، قال : هى لك يا رسول الله ، فركبا فانطلقا ، وأردف أبو بكر عامر بن فُهَيرة مولاهُ خلْفَه يخدمُهما بالطريق[4] .

حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثت عن أسماء بنت أبى بكر ، قالت : لما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نفرٌ من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجتُ إليهم ، فقالوا : أين أبوكِ يا ابنة أبى بكر ؟ قلتُ : لا أدرى والله أين أبى ! قالت : فرفع أبو جهل يدَه ــ

---

(١) العصام : ما تعلق به السفرة وغيرها . (٢) السفرة : طعام المسافر .

(٣) قال ابن هشام : «وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين ؛ وتفسيره أنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها اثنين ، فعلقت السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخر» .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢ ــ ٤

وكان فاحشًا خبيثًا ــ فلطَم خدّى لطمة طرح منها قُرْطِى . قالت : ثم انصرفوا ومكثنا ثلاثَ ليال ، لا ندرى أين توجّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ؛ حتى أقبلَ رجل من الجنّ ، من أسفل مكّة يغنّى بأبيات من الشّعر غناء العرب والنّاس يتّبعونه ؛ يسمعون صَوْتَه وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة ، وهو يقول :

جزَى اللهُ ربُّ الناسِ خيرَ جزائِهِ رَفيقَيْنِ حلاَ خَيْمَتَىْ أُمِّ مَعْبَدِ[1]

١٢٤١/١ هُمَا نزَلاها بالهُدَى واغْتَدَوْا بهِ فأفلحَ مَنْ أمْسَى رَفِيقَ مُحمَّدِ

لِيهْنِ بَنِى كَعْبٍ مَكَانُ فَتاتِهِمْ ومَقْعَدُها لِلْمُؤْمِنِينَ بمَرْصَدِ

قالت : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنّ وجهه إلى المدينة ، وكانوا أربعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، وعبد الله بن أرقد دليلهما[2] .

قال أبو جعفر : حدّثنى أحمد بن المقدام العجلىّ ، قال : حدّثنا هشام ابن محمّد بن السّائب الكلبىّ ، قال : حدّثنا عبد الحميد بن أبى عبْس بن محمّد بن أبى عبس بن جبر ، عن أبيه ، قال : سمعتْ قريش قائلاً يقول فى الليل على أبى قُبَيْس :

فإنْ يُسْلِمِ السَّعْدَانِ يُصْبِحْ مُحمَّدٌ بمَكَّةَ لا يَخْشَى خِلافَ المُخالِفِ

١٢٤٢/١ فلمّا أصبحوا قال أبو سفيان : مَن السَّعْدان ؟ سَعْدُ بكر ، سَعْدُ تميم ، سعد هُذَيم ! فلمّا كان فى الليلة الثانية ، سمعوه يقول :

أيا سَعْدُ سَعْدَ الأوْسِ كُنْ أنْتَ ناصرًا ويا سَعْدُ سَعْدَ الخَزْرَجِيْنَ الغَطَارِفِ

أجيبا إلى دَاعِى الهُدَى وتمنَّيا على اللهِ فى الفِرْدَوْسِ مُنْيَةَ عارِفِ

فإنَّ ثَوَابَ اللهِ للطّالِبِ الهُدَى جِنَانٌ مِنَ الفِرْدَوْسِ ذات رَفارِفِ

---

(١) قال ابن هشام : أم معبد بنت كعب ، من خزاعة .

(٢) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٥٠٤

فلما أصبحوا ، قال أبو سفيان : هو والله سعد بن مُعاذ وسعد بن عبادة .

* * *

قال أبو جعفر : وقدِم دليلهُما بهما قُباءَ ، على بنى عمرو بن عوف ، لثْنتىْ عشْرة ليلةً خلتْ من شهر ربيع الأول ، يوم الاثنين حين اشتد الضُّحى ، وكادت الشمس أن تعتدل .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى محمّد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزّبير ، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة ، قال : حدّثنى رجال قومى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، قالوا : لما سمِعْنا بمخرج رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم من مكة ، وتوكّفنا قدومه[1] ، كنّا نخرج إذا صلّينا الصبح إلى ظاهرِ حرّتنا ، ننتظرُ[2] رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم ؛ فوالله ما نبْرَح حتى تغلبَنا الشمس على الظلال[3] ؛ فإذا لم نجد ظِلاًّ دخلنا بيوتنا ، وذلك ١٢٤٣/١
فى أيام حارّة ؛ حتى إذا كان فى اليوم الذى قدِم فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جلسنا كما كنّا نجلس ؛ حتى إذا لم يبق ظِلٌّ دخلنا بيوتنا . وقدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أوّل منْ رآه رجلٌ من اليهود ، وقد رأى ما كنّا نصنع ، وإنّا[4] كنّا ننتظر قدومَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فصرخ بأعلى صوته : يا بنى قيْلة[5] هذا جدّكم قد جاء .

قال : فخرجنا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، وهو فى ظلّ نخلة ، ومعه أبو بكر فى مثل سِنّه وأكثرُنا منْ لم يكن رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، قال : وركبه الناس[6] ، وما نعرفه من أبى بكر ؛ حتى زال

---

(١) توكفنا قدومه : انتظرناه .
(٢) ر : « فننتظر » .
(٣) ح : « القلال » .
(٤) ح : « وما » ، ر : « وإنما » .
(٥) بنو قيلة ؛ هم الأنصار ؛ وقيلة : اسم جدة كانت لهم .
(٦) ركبه الناس ، أى ازدحموا عليه .

الظلَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر ، فأظلّه بردائه ، فعرفناه عند ذلك ، فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم — فيما يذكرون — على كُلْثوم بن هِدْم ، أخي بني عمرو بن عَوْف ، ثم أحد بني عُبيد ، ويقال : بل نزل على سعد بن خَيْثَمة .

ويقول مَنْ يذكُر أنه نزل على كُلثوم بن هدم : إنّما كانَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم إذا خرج من منزل كُلثوم بن هِدْم ، جلس للناس فى بيت سَعْد بن خيثمة ؛ وذلك أنه كان عَزَبًا لا أهلَ له ، وكان منازلُ العزّاب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم من المهاجرين عنده ؛ فمن هنالك يقال : نزل على سعد بن خيثمة ، وكان يقال لبيت سعد بن خيثمة : بيت العزّاب ، فالله أعلم أىّ ذلك كان ، كلاًّ قد سمعنا .

١/١٢٤٤ ونزل أبو بكر بن أبى قُحافة على خُبَيب بن أساف ، أخى بنى الحارث ابن الخزرج بالسُّنْح ، ويقول قائل : كان منزلُه على خارجة بن زيد بن أبى زُهَير ، أخى بنى الحارث بن الخزرج .

وأقام علىّ بن أبى طالب رضىَ الله عنه بمكّة ثلاث ليالٍ وأيّامها ؛ حتّى أدّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم الودائعَ التى كانت عنده إلى النّاس ؛ حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فنزل معه على كُلْثوم ابن هِدْم ، فكان علىّ يقول : وإنّما كانت إقامته بقُبَاء على امرأة لا زوجَ لها مسلمة ، ليلةً أو ليلتين ، وكان يقول : كنتُ نزلت بقُباء على امرأة لا زوْج لها مسلمة ، فرأيتُ إنسانًا يأتيها فى جَوْف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطيها شيئًا معه ، قال : فاسترَبْتُ لشأنه ، فقلت لها : يا أمَةَ الله ، مَنْ هذا الرجل الذى يضرب عليك بابَكِ كلّ ليلة فتخرجين إليه ، فيعطيك شيئًا ، ما أدرى ما هو ؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ! قالت : هذا سَهْل بن حُنَيف بن واهب ، قد عرف أنّى امرأة لا أحدَ لى ؛ فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسّرها ، ثم[1] جاءنى بها ، وقال : احتطبى بهذا . فكان علىّ بن

(١) ر : « حتى » .

أبي طالب يأثر ذلك مِن أمر سهل بن حُنَيف حين هلك عنده بالعراق[١] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثني محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني هذا الحديث عليّ بن هند بن سعد بن سهل بن حُنَيف ، عن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه .

١٢٤٥/١ فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقُباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، ويوم الخميس ؛ وأسَّس مسجدهم ؛ ثم أخرجه الله عزّ وجلّ من بين أظهرهم يوم الجمعة ؛ وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنّه مكث فيهم أكثرَ من ذلك . والله أعلم .

ويقول بعضهم : إنّ مقامه بقُباء كان بضعة عشر يومًا .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف السَّلفُ من أهلِ العلم في مدّة مقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بمكّة بعد[٢] ما استنبئ ، فقال بعضهم : كانت مدّة مقامه بها إلى أن هاجر إلى المدينة عشر سنين .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا يحيى بن محمّد بن قيس المدنيّ — يقال له أبو زُكَيْر — قال : سمعتُ ربيعة بن أبي عبد الرحمن يذكر عن أنس ابن مالك ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بُعِثَ على رأس أربعين ، فأقام بمكّة عشراً .

حدّثني الحسين بن نصر الآمُليّ ، قال : حدّثنا عبيد[٣] الله بن موسى ، عن شَيْبان ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلَمَة بن عبد الرحمن ؛ قال : أخبرتْني عائشة وابنُ عبّاس أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٠ ، ١١

(٢) ح : « يوم » .

(٣) ر : « عبد » .

لبث بمكة عشر سنين ، ينزل[1] عليه القرآن .

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا عبد الوهاب ، قال : حدّثنا يحيى
١/١٢٤٦ ابن سعيد ، قال : سمعتُ سعيد بن المسيّب ، يقول : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلّم القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين ، فأقام بمكّة عشراً .

حدّثني أحمد بن ثابت الرّازىّ ، قال : حدّثنا أحمد ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيد ، عن هِشام، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل على النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، فمكث بمكّة عشراً .

حدّثني محمّد بن إسماعيل ، قال : حدّثنا عمرو بن عثمان الحمصىّ ، قال : حدّثنا أبى ، قال : حدّثنا محمد بن مسلم الطائفىّ ، عن عمرو بن دينار ، قال : هاجرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم على رأس عَشْرٍ من مُخْرَجه .

* * *

قال أبو جعفر : وقال آخرون : بل أقام بعد ما استنبِئ بمكّة ثلاث عشرة سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا حجّاج بن المنهال ، قال : حدّثنا حمّاد — يعنى ابن سلمة — ، عن أبى جمْرة ، عن ابن عبّاس ، قال : أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة ثلاث عشرة سنة يوحَى إليه .

حدّثني محمّد بن خلف ، قال : حدّثنا آدم ، قال : حدّثنا حمّاد ابن سلَمة ، قال: حدّثنا أبو جَمْرَةَ الضُّبَعىّ ، عن ابن عباس ، قال: بُعِثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم لأربعين سنة[2] ، وأقام بمكّة ثلاث عشرة سنة .

---

(١) ر : « ونزل » .

(٢) م : « لأربعين سنة بمكة » .

حدّثني محمّد بن معمَر ، قال : حدّثنا رَوْح ، قال : حدّثنا زكرياء ابن إسحاق ، قال : حدّثنا عمرو بن دينار ، عن ابن عبّاس ، قال : مكَث رسول الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة ثلاث عشرة سنة .

حدّثني عبيد[١] بن محمد الورّاق ، قال : حدّثنا رَوْح ، قال : حدّثنا هشام ، قال : حدّثنا عِكْرمة ، عن ابن عبّاس ، قال : بُعِث النبيّ صلى الله ١٢٤٧/١
عليه وسلم لأربعين سنة ، فمكث بمكّة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثمّ أمر[٢] بالهجرة .

* * *

قال أبو جعفر : وقد وافق قولُ مَنْ قال : بُعِث رسول الله صلى الله عليه وسلّم لأربعين سنة ، وأقام بمكّة ثلاث عشرة سنة قول أبى قيس صِرْمة بن أبى أنَس ، أخى بنى عدىّ بن النّجار ، فى قصيدته التى يقول فيها ، وهو يصف كرامة الله إيّاهم بما أكرمهم به من الإسلام ، ونزول نبىّ الله صلى الله عليه وسلّم ، عليهم :

ثوَى فى قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... يذَكِّرُ لو يَلْقى صَدِيقاً مواتيَا[٣] !
ويَعْرِضُ فى أهْلِ المَواسِمِ نَفْسَهُ ... فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِى ، ولَمْ يَرَ داعيا
فلمّا أتانا أظْهَرَ اللهُ دِينَهُ ... فأصْبَحَ مَسْرُورًا بطَيْبَةَ رَاضِيَا
وألْفَى صَدِيقاً واطْمَأنَّتْ به النَّوَى ... وكان له عَوْناً مِنَ اللهِ باديا
يَقُصُّ لنا ما قال نُوحٌ لقَوْمِهِ ... وما قال مُوسَى إذْ أجابَ المُناديا
وأصْبَحَ لا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ واحدا ... قريباً ، ولا يَخْشَى من النَّاسِ نائيا ١٢٤٨/١
بَذَلْنا له الأَمْوالَ مِنْ جُلِّ مَالنا ... وأنفُسنا عند الْوَغَى والتَّآسيا[٤]

---

(١) ر : « عبيد الله » .

(٢) ح ، م : « أمره » .

(٣) الأبيات فى الاستيعاب ٣٢٣ .

(٤) بعده فى الاستيعاب :

نُعادِي الَّذى عادَى من النَّاسِ كُلِّهِمْ ... جَمِيعاً وإنْ كَانَ الحبيب المواتيَا

ونعلَمُ أن اللهَ لا شئ غيره   ونعلَمُ أنّ اللهَ أفضَـلُ هاديا

فأخبر أبو القيس فى قصيدته هذه أن مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قومه قريش كان بعد ما استنبئ وصَدَع بالوحى من الله بضع عشرة حجّـــة .

* * *

وقال بعضهم كان مقامه بمكة خمس عشرة سنة :

• ذكر من قال ذلك :

حدّثنى بذلك الحارث ، عن ابن سعد، عن محمّد بن عمر ، عن إبراهيم بن إسماعيل ، عن داود بن الحصين، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ؛ واستشهد بهذا البيت من قول أبى قيس صِرمة بن أبى أنس ، غير أنه أنشد ذلك :

ثَوَى فى قُرَيشٍ خَمْسَ عَشْرَةَ حِجّةً   يُذَكِّرُ لو يَلْقَى صَدِيقاً مُوَاتِيَا(١)!

* * *

١/١٢٤٩ قال أبو جعفر : وقد روى عن الشعبىّ أنّ إسرافيل قُرن برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحَى إليه ثلاث سنين .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر الواقدىّ ، قال : حدّثنا الثورىّ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشعبىّ — قال : وحدّثنا إملاءً من لفظه منصورٌ عن الأشعث ، عن الشعبىّ — قال : قُرن إسرافيل بنبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين، يسمع حسّه ، ولا يرى شخصه . ثم كان بعد ذلك جبريلُ عليه السلام . قال الواقدىّ: فذكرتُ ذلك لمحمّد بن صالح بن دينار ، فقال : والله يابن أخى لقد سمعت عبدَالله بن أبى بكر بن حَزْم ، وعاصم بن عمر بن قتَادة يحدّثان (٢) فى

---

(١) م : « مواليا » .

(٢) ح : « يتحدثان » .

المسجد ورجل عراقيّ يقول لهما هذا ، فأنكراه جميعًا وقالا : ما سمعنا ولا علمنا إلاّ أنّ جبريل هو الذي قُرن به ، وكان يأتيه بالوحي من يوم نُبِّئَ إلى أن توفّي صلى الله عليه وسلم[١] .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا ابنُ أبي عديّ ، عن داود ، عن عامر ، قال : أنزلتْ عليه النبوّة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلّمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن على لسانه ، فلمّا مضت ثلاث سنين قرن بنبوّته جبريل عليه السلام ، فنزل القرآن على لسانه عشر سنين بمكّة وعشر سنين بالمدينة .

قال أبو جعفر : فلعلّ الذين قالوا : كان مقامُه بمكّة بعد الوحي عشراً عدّوا مقامَه بها من حين أتاه جبريل بالوحْيِ من الله عزّ وجلّ ، وأظهر الدعاء إلى توحيد الله . وعدّ الذين قالوا: كان مُقامه ثلاث عشرة سنة من أوّل الوقت الذي استنبئ فيه ؛ وكان إسرافيل المقرون به وهي السنون الثلاث ١٢٥٠/١
التي لم يكن أمِرَ فيها بإظهار الدعوة .

وقد روى عن قَتادة غيرُ القولين اللّذين ذكرت ؛ وذلك ما حدّثت عن رَوح بن عبادة ، قال : حدّثنا سعيد ، عن قَتادة ، قال : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانيَ سنين بمكّة وعشراً بعد ما هاجر ، وكان الحسن يقول : عشراً بمكة وعشراً بالمدينة .

---

(١) طبقات ابن سعد ١ : ١٩١ .